وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: التاريخ

الفقيه والسلطة في السودان الغربي من القرن(2هـ -9هـ)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في العلوم الإنسانية
تخصص: التاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتان:
- بدرة قعيد
- ليلى فريوة

إشراف الدكتور:
د. أحمد بن خيرة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
د. سليم حاج سعد	أستاذ محاضر *أ*	رئيسا
د. أحمد بن خيرة	أستاذ محاضر *أ*	مشرفا ومقررا
د. عبد الرؤوف زواري	أستاذ محاضر *ب*	مناقشا

الموسم الجامعي: (1445-1446هـ/2023-2024م)

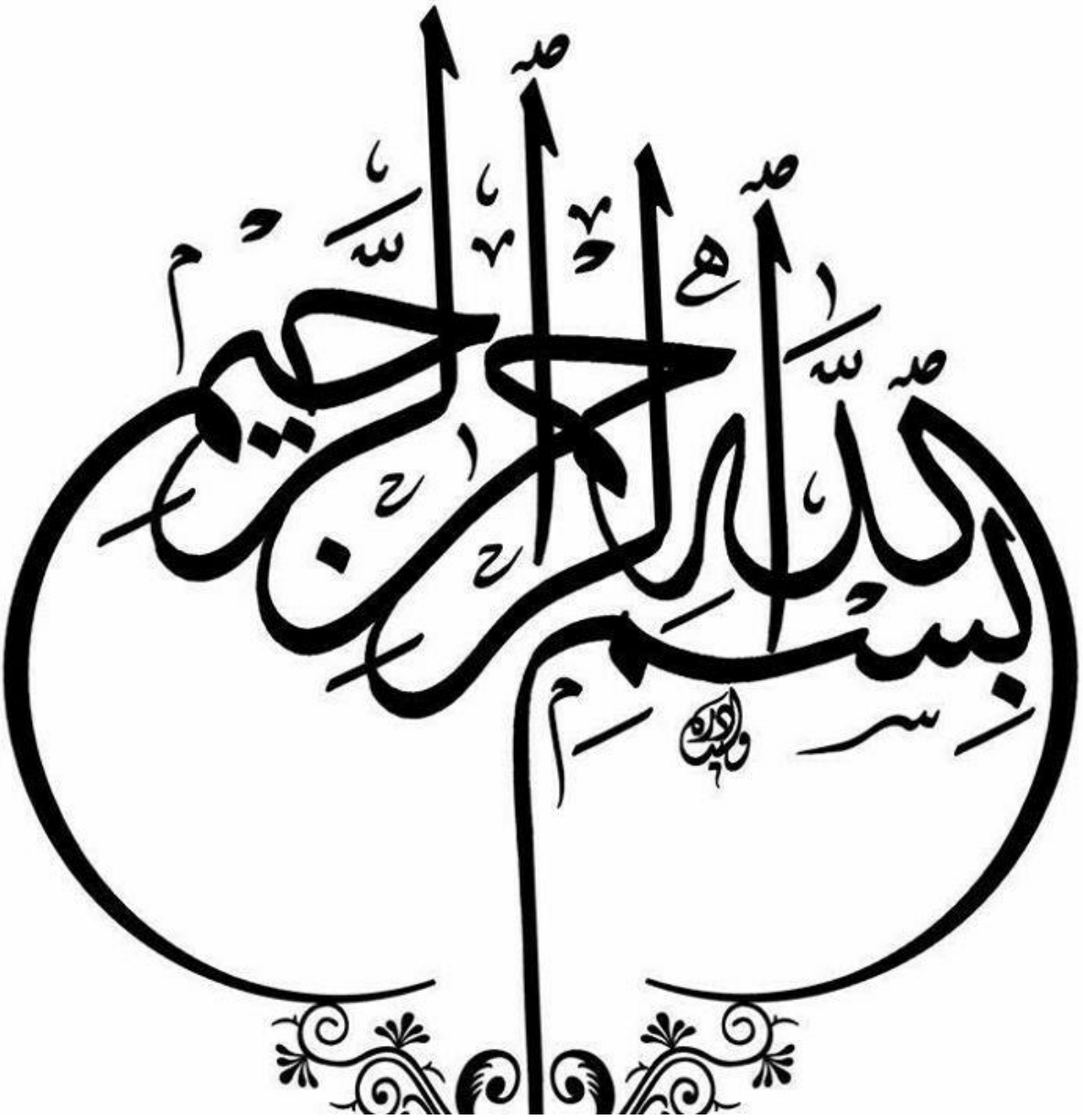
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا في إتمام هذا العمل

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذنا المحترم "د. أحمد بن خيرة"

الذي قدم لنا كل سبل العون والمساعدة، ولم يبخل علينا

بأي معلومة أو إرشاد ونصائح

ولولاه وبعد الله سبحانه لما استطعنا إنجاز هذا العمل.

كما نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

وكل شخص كان له الفضل في إعداد هذه المذكرة سواء بكلمة

أسداها لنا أو برأي تقدم به فجزاهم الله الله جل شنه عنا خير جزاء.

اهداء

أحمد لله الذي أنار لي طريقي وكان خير عون.

إلى من تعجز الكلمات عن وصف حبها

إلى من ربت، سهرت، أعطت بدون مقابل

إلى من لا يوجد عمل لإيفاء حقها إلى حبيبتي ونور عيني: أمين الغالية

إلى خالد الذكرى الذي وافته المنية وكان خير رب أسرة

"أبي الموقر رحمه الله وجعل مثواه الجنة"

إلى من ساندني وكان معي في كل كبيرة وصغيرة أكن له مشاعر الحب والاحترام

والعرفان "زوج الغالي" "سفيان"

إلى المعجزة التي وهبني الله إياها وأضاء بها حياتي

ابني حبيبي " محمد الأزهر"

الى كل أفراد عائلتي حفظهم الله ورعاهم. إلى كل الأساتذة الذين قدموا لي يد

المساعدة أخص بالذكر الأستاذ المشرف

والى من كانت في جانبي صديقتي العزيزة "بدرة"

أهدي هذا العمل إلى كل هؤلاء وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا لما فيه من خير.

ليلى

إهداء

أحمد الله حبا وشكرا وإمتنانا على البدء ، والختام

وآخر دعواهم أن أحمد الله رب العالمين

لم تكن الرحلة قصيرة ولا ينبغي لها أن تكون أحلم قريبا ، لا الطريق كان محفوفًا بالتسهيلات لكـــنني فعلتها

فالحمد لله الذي يسر البدايات وبلغنا النهايات.

أهدي هذا النجاح لنفسي أولاً ثم إلى من سعى معي لإتمام هذه المسيرة دمتم لي سندا .

أهدي ثمرة جهدي المتواضعة إلى من أحمل إسمه بكل فخر الذي ساندني وعلمني أن الحياة صراع سلاحها

العلم ، الذي علمني الصبر والاستمرار رغم الصعاب الذي لطالما حفتني دعواته (أبي الغالي)

إلى الغالية التي كانت أملي ، إلى القلب الحنون والشمعة التي كانت نورا لي في الليالي المظلمة ، التي ساندتني

طول مسيرتي وهونت عليا طريقي (أمي الغالية).

إلى من علموني أن ارتقي سلم الحياة بحكمة وصبر ، إلى من وهبوني الحياة والأمل

إلى من وهبني الله نعمة وجودهم في حياتي برا وإحساناً لهما : (أبي العزيز وأمي الغالية)

إلى ملاكي الطاهر ، وقوتي بعد الله ، داعمتي الأولى والأبدية (جدتي الغالية)

الى من مد يده دون كلل ولا ملل وقت ضعفي " أخوتي" أدامكم الله ضلعا ثابتا لي

إلى من ساندوني بكل حب عند ضعفي وأزاحوا عني طريق المتاعب ، زرعوا الثقة والإصرار داخلي إلى من آمنوا

بقدراتي وأمان أيامي (أخواتي الغاليات).

إلى صديقتي وصاحبة الشدائد وملهمة نجاحي إلى من مدت لي يد العون عند حاجتي إلى الشمعة التي تنير

طريقي (صديقتي الغالية ليلى)

إلى الأستاذ الذي ترك لي بصمة جميلة بأخلاقه ، وتعاونه ومحبته الأبوية ،

إلى من علمني الاخلاق قبل الحروف (استاذي احمد بن خيرة) .

اهديكم جميعا هذا العمل المتواضع وثمرة جهدي ، والله ولي التوفيق...

"بلخيرة"

فهرس الرموز

الرمز	الدلالة
ط	طبعة
د ط	دون طبعة
د م ن	دون مكان نشر
د ت	دون تاريخ
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ت	تاريخ وفاة
هـ	التاريخ الهجري
م	التاريخ الميلادي
ج	الجزء
مج	المجلد
ص	الصفحة
/	الحد الفاصل بين التاريخ الهجري والميلادي

مقدمة

مقدمة:

تأسست في الجنوب الغربي من الصحراء الكبرى ودول الجنوب والممالك التي كان لها دور هاما في احتضان الإسلام ونشره بواسطة عدة وسائل.

وقد كانت هذه المنطقة السودان الغربي وبعض المماليك التي نشأت فيها والتي بدورها احتضنت الكثير من رجال الدين والعلم، وتعتبر بلاد السودان الغربي احدى المحطات الرئيسية التي عبرت من خلالها مختلف المؤثرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

فقد دخلت المنطقة في الإسلام وذلك بالوسائل السلمية وهذا الفضل يعود إلى الدعاة والتجار والتجارة المتبادلة.

ومن هنا تطرقنا إلى بحثنا هذا بعنوان "**الفقيه والسلطة في السودان الغربي** ".

ومن هنا يمكننا طرح الإشكال التالي:

- كيف انتشر الإسلام في السودان الغربي؟
- وما هي العوامل التي ساعدت على انتشاره؟
- وما هي المذاهب التي ظهرت في تلك المنطقة؟ ودور الفقهاء في نظر الحكم والإدارة في ممالك السودان الغربي؟

❖ أسباب دراستنا لهذا الموضوع أسباب ذاتية وأسباب علمية وهي إماطة اللثام عن بعض المعلومات المراد التعرف عليها.

❖ لإثراء وتنويع مذكرتنا العلمية ومعرفة معلومات قيمة في فترة القرن 2هـ إلى القرن 7هـ أو 8هـ بمنطقة السودان الغربي.

❖ وتهدف دراستنا إلى التعرف على منطقة ظلت حصن من حصون الاسلام، ودراسة جانب مهم من خصائصها الإسلامية، ومحاولة الربط بين الماضي والحاضر باستحضار صور التلاحم والترابط بين أجزاء الأمة الواحدة.

المنهج المتبع:

❖ ومن خلال عمليات البحث والدراسة اعتمدنا في بحثنا على منهج يرتكز على الوثائق التاريخية من مصادرها عبر جميع عمليات وأطوار البحث من سرد ووصف وتحليل الأحداث من مصادرها من خلال تعاملنا مع تلك الوثائق بالمنهج التاريخي المعروف بآليات سرد الأحداث من المصادر بترتيبها

وتبويبها ثم التحليل بمقارنتها بالوثائق لاستخلاص مدى مصداقيتها مع بعضها البعض واستنتاج عملية تركيبة تحصيلية من الوثائق المدروسة.

❖ كانت هيكلتنا للموضوع على شكل مقدمة وثلاث فصول أي بعبارة أخرى مدخل وفصلين آخرين وفي كل فصل مبحثين وكل مبحث به ثلاث مطالب وخاتمة.

ففي الفصل الأول أو الفصل التمهيدي خصصناه للتعرف بمنطقة السوادان الغربي من ناحية التسمية والنشأة وكذلك الموقع الجغرافي، كذلك تطرقنا فيه إلى بعض المماليك التي ظهرت في السودان الغربي خلال القرن 02هـ إلى 07هـ .

❖ أما الفصل الأول تحدثنا عن دخول الإسلام إلى السودان الغربي فتناولنا في المبحث الأول الوسائل التي ساعدت على انتشار ودخول الإسلام إلى السودان الغرب، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه العوامل المرتبطة بالعقيدة الاسلامية ومظاهر تأقلم السودان الغربي بها ودور الفقهاء في ذلك.

❖ أما الفصل الثاني فتطرقنا إلى دخول أو وصول المذاهب الفقهية إلى السودان الغربي فتحدثنا في المبحث الأول عن المذهب الاباضي ودور الفقهاء في ترسيخ الاسلام، أما المبحث الثاني المذهب المالكي ودور فقهائه في ترسيخ الإسلام .

❖ وفي الخاتمة وقفنا على أهم وأبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال ما درسناه مجيبين على الأسئلة المطروحة في المقدمة، كما ارفقنا بحثنا بمجموعة من الصور والخرائط كملاحق تظيف لبحثنا ويصبح أكثر وضوحا وتفصيلا إظافة إلى فهرس المصادر والمراجع التي تساعد القارئ في العودة إليها والاستفادة منها: ابن خلدون عبدالرحمان ،كتاب العبر ،دوان المتداول خبر ،مج6،دار الكتب العلمية ،لبنان ،دط. البكري أبو عبد الله: كتاب المسالك والمالك ، تونس، الدار العربية للكتاب، 1992، ج2، القلقشندي أبو العباس: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، تح: نبيل خالد الخطيب، لبنان، دار الكتاب للكتب العلمية، ط1، 1987م، وكذلك الإدريسي أبو عبد الله الشريف: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في إفتراق الآفاق، تح: اسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م، وغيرها العديد من المصادر والمراجع الأخرى.

الصعوبات التي واجهتنا:

- لابد لكل باحث من صعوبات تواجهه في كتابة بحثه من بين الصعوبات التي واجهتناّ، اختلاف المعلومات بين كل مصدر ومصدر آخر، أو مرجع ومرجع آخر، وصعوبة التوفيق بين الدراسة والعمل نظرا للمشاكل مع العمل .
- وفي الأخير نتمنى أننا قد وفقنا في إنجاز هذه الدراسة ولو بالقليل كما نتمنى أننا قد أثريناه من حيث الجانب العلمي لإفادة القارئ.
- ومن هنا لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر لكل من ساعدنا في انجاز هذا العمل المتواضع ونخص بالذكر الأستاذ المشرف أحمد بن خيرة الذي كان لنا خير عون ولم يبخل علينا بأي نصيحة أو معلومة يزودنا بها جهل الله ذلك في ميزان حسناته ووفقه الله إلى ما يحبه ويرضى كما هو الشكر موصول إلى كل من ساعدنا من بعيد أو قريب

الفصل التمهيدي:

لمحة تاريخية عن السودان الغربي

المبحث الأول: تعريف السودان الغربي

المطلب الأول: التسمية والنشأة

المطلب الثاني: الموقع الجغرافي للسودان الغربي

المبحث الثاني: الممالك التي قامت في السودان الغربي

المطلب الأول: مملكة غانا

المطلب الثاني: مملكة مالي

المطلب الثالث: مملكة سنغاي

المبحث الأول: تعريف السودان الغربي

المطلب الأول: التسمية والنشأة

إن تسمية بلاد السودان الغربي يقصد بها أقاليم السودان الثلاثة المعروفة وهي« السودان الغربي يشمل حاليا حوض السنغال وغامبان وفولتا العليا "بوركينافاسو" والنيجر الأوسط، والسودان الشرق الذي يمتد من البحر الأحمر شرقا حتى اقليم دارفور غربا أي هو المنطقة التي تشمل مناطق النيل ورافده جنوب بلاد النوبة والسودان الأوسط يشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد[1].

وقد وردت لفظة السودان في عناوين كثيرة من مؤلفاتهم واحتفظت الأدبيات الاستعمارية بالمفهوم التاريخي للمصطلح في الكتابات العربية والمحلية، ولقد أدرك الجغرافيون والمؤرخون العرب أن المجال السودان متعدد الخصائص، ولعل هذا هو السر في انتشار مصطلح السودان بصيغة الجمع عندهم بدلا من بلد بصيغة الأفراد.

وعليه فقد حاولوا تقسيم المجال السوداني إلى أقسام مختلفة والاعتماد الذي اعتمدوه في التقسيم لم يكن جهويا بل سيسو سياسي لأنهم لم يتعاملو مع الفضاء الجغرافي مجردا عم يتجسد فيه من تشكيلات بشرية وسياسية وفي الغالب تجدهم يقسمون المنطقة إلى مماليك[2].أنظر الملحق رقم 03.

- وقد شاع استخدام مصطلح السودان مع سنة 1870م في المكتبات الرسمية وتشمل كل الأقاليم الواقعة شمال البحيرات العظمى وحتى القرن الأفريقي والسواحل الصومالية وفي فترة الاستعمار كان هناك السودان الفرنسي والسودان الانجليزي المصري وسقطت كلمة بلاد و بعد الاستقلال عادت بلاد السودان الفرنسي إلى أسمائها القديمة.

ونحن في بحثنا هذا وعملنا هذا سنتطرق لبلاد السودان الغربي والتي تعرف أيضا باسم "غرب افريقيا " أو "أفريقيا الغربية" في الكتابات الأجنبية ولكن التسمية استعملت استعمالات جزئية3.

1 . الفلاتي عبد الرحمان: الفلاتة في إفريقيا، ومساهمتهم الاسلامية في السودان، الكويت، دار الكتاب الحديث، 1994م، ص 525.

2 . زيبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين(1493/1591م) الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د، ط، ص 15.

3 . عبد الله الفكي البشير: قراءة منصورة شعوب القرن الإفريقي في كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين وتأثيراتها الممتدة، صحيفة التغيير الالكترونية.

المطلب الثاني: الموقع الجغرافي للسودان الغربي:

أطلق بعض المؤرخين اليونان والرومان على منطقة السودان الغربي الأوسط مصلح "غربيا" نسبة لنهر النيجر الذي أطلق عليه هذه التسمية هو المؤرخ الجغرافي الروماني بلين حوالي115 م ومعناها الأجناس السوداء وقد كانت معظم أراضي افريقيا جنوبي الصحراء الكبرى نفرق ببلاد السودان بالنسبة للعرب في حين أصبح هذا الاسم يقتصر على جمهورية السودان في الوقت الحالي حيث كانت في القدم تطلق على المناطق التي تشغلها حاليا: سنغال/ مالي، فولتا العليا والنيجر وأجزاء من موريتانيا وغينيا ونيجيريا وغامبيا وسيرالبون، ليبيريا، ساحل العاج، ساحل الذهب، وداهومي بوركينافاسو وطوغو، وبنين الصحراء الغربية وإفريقيا الوسطى وتشاد والسودان الأوسط وأصل التسمية مأخوذ من لون البشرة التي يتميز بها سكان تلك المنطقة.

وأطلق البكري كلمة السودان في القرن 5هـ/11م على جزء من غرب افريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي إلى مشارف النوبة* على النيل شرقا، وأعتبر مدينته سجلماسة مدخلا إلى بلاد السودان[1].

اما ابن حوقل فقد حدد المنطقة بقوله " أما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلادهم من أقصى المغرب على البحر المحيط متلف غيران البحر ينتهي الى البحر المتوسط وحدا له ينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب وحدا له بينه وبين مصر على ظهر الواحات[2].

اما القلقشندي فقد حدد بلاد السودان بقوله: "إن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الجنوب الخراب بينما يلي خط الاستواء من الشرق بحر القلزم مما يقابل بلاد اليمن، من الشمال براري يمتد ما بين مصر وبرقنة وبلاد العرب المغاربة من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط[3].

وقد ذكر الادريسي أن أكثر هذه الأرض صحار متصلة غير عامرة وجهات وحشة وجبال عرش جرد لا نبات فيها والماء فيها قليل جدا وأصل تلك الأرض يدلون في أكتافها وطرقاتها ويتجولون في ساحاتها ووديانها وجبالها[4].

---

* . النوبة: تمتد على طول النيل جنوبا وأراضي مصر شمالًا. ينظر الحسن بن محمد الوازن الفاسي، وصف افريقيا، ج:2، ير: حجي عمار ومحمد، لبنان، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1983، ص 179.

1 . البكري أبو عبد الله: كتاب المسالك والممالك، تونس، الدار العربية للكتاب، 1992، ج2، ص 837.

2 . ابن حوقل أبو القاسم محمد الناصيبي: صورة الأرض، لبنان، مشورات دار مكتبة الحياة، 1992، ص 24.

3 . القلقشندي أبو العباس: الصبح الأعشى، صناعة الأنشاء، ج5، تح: نبيل خالد الخطيب، لبنان، دار الكتاب للكتب العلمية، ط1، 1987م، ص 275.

4 . الأدريسي أبو عبد الله الشريف: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في إفتراق الآفاق، تح: اسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م، ص 33.

من قراءتنا لبعض أقوال الرحالة والجغرافيين نخلص إلى أن بلاد السودان الغربي يحدها شمالا الصحراء الكبرى، وشرقا الكامرون وبحيرة تشاد ومن الجنوب الشرقي الغابات الاستوائية أما من ناحية الغرب فهي تتاخم المحيط الأطلسي ومن الجنوب خليج غينيا أي ما يعرف حاليا بمنطقة حوض السنغال وغامبيا وفولتا* العليا والنيجر الأوسط والأعلى، أما الموقع الفلكي فهو محصور بين دائرتي عرض 11° و 17° شمال خط الاستواء وخط طول 10° شرقا و17° غربا وتشمل حاليا كل من السنغال وغامبيا ومالي وموريتانيا وغينيا والنيجر والساحل العلوي والداخلي لثلثي بيراليون وداخل ليبيريا والمناطق الغربية والشمالية الشرقية لبوركينافاسو والنصف الشمالي للدول الساحلية في نيجيريا وبنين وتوغو وغانا وكودفوار[1].

كما ذكر القزويني أن بلاد السودان هي بلاد كثيرة، وأرض واسعة، ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وجنوبها إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة، وغربها إلى البحر المحيط أرضها محترقة لتأثير الشمس فيها، والحرارة لها شديدة جدا، وأهلها عراة لا يلبسون من شدة الحر، منهم مسلمون ومنهم كفار[2].

أما ابن خلدون فيقول: " والسودان أصناف شعوب وقبائل، أشهرها بالمشرق الزنج والنوبة، يليهم الزغاوة، ويليهم الكانم، ويليهم من غربهم كوكو، وبعدهم التكرور، ويفصلون بالبحر المحيط إلى غانية"[3].

ومنطقة السودان الغربي التي أتحدث عنها، تقع بين الصحراء الكبرى شمالا، وخط الاستواء جنوبا، وبين المحيط الأطلسي غربا، إلى مرتفعات الحبشة ووادي النيل شرقا يتفاوت ارتفاع بعضها عن بعض على سطح البحر من مكان إلى آخر. تنتشر فيها كثبان الرمال، والواحات الكبيرة. كما توجد بها الهضاب الصخرية، والمسالك الفسيحة، وسلاسل الجبال المتقطعة وكذلك الوديان[4].

والمتتبع لكتابات المؤرخين العرب في العصور الوسطى، يلحظ عدم وجود أي تقسيم للمنطقة، لكن بعد الاحتلال الغربي، قسم السودان إلى أقسام متعددة، فظهر السودان الغربي، والسودان الأوسط، والسودان الشرقي.

---

* . نهر فولتا: يقع غرب افريقيا ويقطع 6 دول بوركينافاسو، بنين، مالي، توقو، كودفوار، الهادي الدالي، المرجع السابق، ص 268.

1 . باري محمد علي وسعيد ابراهيم كربدية: المسلمون في غرب ؟أفريقيا (تاريخ وحضارة)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2007م، ص 19.

2 . القزويني زكريا بن محمد بن محمود آثار البلاد وأخبار العباد بيروت، دار صادر دت، ص 24.

3 . ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر 1979م، ج5، ص 243.

4 . الشريف الإدريسي، مصدر سابق ص 168.

ويمتد من البحر الأحمر شرقا حتى حدود إقليم دارفور غربا، ويضم الحوض الأعلى، والأوسط لنهر النيل[1]. غلب اسم بلاد الزنج عند العرب على هذا القسم من السودان، إلا أن كلمة السودان كانت تشمله أيضا.

السودان الأوسط ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد، بين خطي عرض 22 شمالا، و 10 جنوبا. وبين خطي طول 10 شرقا، و 15 غربا[2].

السودان الغربي: ويشمل المناطق الواقعة بين حوض نهري السنغال والحوض الأوسط لنهر النيجر، والمجرى الأعلى لنهر فولتا[3]، ويعرف أيضا باسم الحوض والساحل. وتعد الآن جزءا من غرب إفريقيا، والجدير بالإشارة أن جغرافي ومؤرخي القرون الوسطى من العرب، كانوا لا يميزون بين مصطلحي بلاد السودان الغربي وبلاد التكرور، بالرغم من أن بلاد التكرور، هي إحدى مناطق السودان الغربي، وإلى ذلك ذهب صاحب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، حيث قال: " وصاحب هذه المملكة هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور، ولو سمع هذا أنف منه، لأن التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته، وأحب إليه أن يقال صاحب مالي، لأنه الإقليم الأكبر وهو به أشهر ..."[4].

إن موقع السودان يتميز بإيجابيات كثيرة، جعلته محطة للكثير من الهجرات من مختلف المناطق، وهذه المميزات تمثلت في موقعه في منطقة غزيرة الأمطار نسبيا، وتجري بها بعض الأنهار، مثل نهر السنغال، ونهر النيجر، ونهر غامبيا، ونهر فولتا إضافة إلى تنوع المناخ، وخصوبة الأرض، وتوفر الثروة الحيوانية والسمكية، والثروة المعدنية خاصة الذهب والنحاس اختياري[5].

أما إذا جننا نتحدث عن التركيبة السكانية للسودان الغربي، فإنها عبارة عن قبائل متعددة، يرجع أصول بعضها إلى الزنجية، وبعضها إلى الحامية والبعض الآخر إلى السامية، وصلت المنطقة على مر الزمن عن طريق الهجرات، تبعا لظروف الهجرة من طلب للعيش، وظروف طبيعية أخرى واستقرت بهذه المناطق[6].

---

1 . شيخ الأمين عوض الله، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وصنغي، جدة، دار المجمع العلمي، 1979م، ص 41.

2 . زبادية عبد القادر، مملكة صنغي في عهد الأسكيين -1493 – 1592، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دت، ص 37.

3 . شيخ الأمين عوض الله، المرجع السابق، ص 41 .

4 . فرح سعيد، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السودان الغربي من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر، جامعة أحمد بن بله، وهران، ص 23.

5 . الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي الإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1999م، ص 267.

6 . محمد عوض محمد الشعوب والسلالات الإفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966، ص 160.

يذكر المسعودي عند الحديث عن التركيبة الاجتماعية للسودان الغربي أنه لما تفرق ولد نوح في الأرض سار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر ثم افترقوا ، فسارت منهم طائفة ميمنة بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبحة والزنج، وسار فريق منهم نحو المغرب، وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة والكانم ومركة وكوكو وغانه وغير ذلك من أنواع السودان[1].

اتجاه الجنوب والجنوب الشرقي، مثيرا لحفيظة الممالك الأخرى، وبالخصوص مملكة صوصو، التي بدأ ملكها يبسط نفوذه، فاستطاع القضاء على دولة غانه الإسلامية عام 600هـ / 1203م[2]، وكاد أن ينجح في الحصول على ملك الماندنجو ، لولا أن سندياتا ملكها (الماندنجو أو مالي) الذي عرف بماري جاطة استطاع أن يقتله في إحدى المعارك عام /1235م، وضم إقليم صوصو إليه، ثم وسع نفوذه شمالا، ليستولي على ما بقي من مملكة غانه عام 638هـ / 1240م، وبهذا يعتبر سندياتا المؤسس 632هـ الحقيقي لمملكة مالي الإسلامية[3].

1 . المسعودي أبو الحسن علي بن الحسن مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، ط1، ج 1، مصر، 1303هـ، ص 168.

2 . أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 6، ط2، 1959، مكتبة النهظة المصرية، القاهرة، ص 244.

3 . أحمد شلبي، المرجع نفسه. ص 244.

المبحث الثاني: الممالك التي قامت في السودان الغربي

المطلب الأول: مملكة غانا

سماها الفزاري الذي زارها عام 200هـ / 816 م أرض الذهب[1]. بحسب رواية الرحالة الذين زاروا المنطقة، فقد عرفت الحديد وصناعة الأسلحة. كما عرفت الذهب، الذي يتاجرون به مع أهل الشمال، ويبادلونه بالملح وبعض السلع الأخرى. وكان اعتمادها على تجارة منظمة، قال البكري: " إن أهل غانه لم يتعلموا التجارة فقط، بل مارسوا فنونها ووضعوا قواعد للضرائب والرسوم الجمركية. فمثلا كانت الحكومة تفرض دينارا من ذهب على كل حمل حمار من الملح يدخل المدينة[2] .

أسرة حاكمة هي أسرة ضيا وتولى الملك أول ملك لهذه القبائل وكان اسمه ضيا العالمين، وظلت تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية وتمتهن صيد الأسماك وزراعة الدخن وقد عرف الزراع منهم بسادة الأرض وصيادو الأسماك بسيادة المياه[3]. كانت عاصمتها مدينة كوكيا على نهر النيجر الأدنى وهي لا تبعد عن جاو الحالية سوى مائة وخمسين كلم، وقد انتشر الإسلام في بلاد الصنعي نتيجة الإمتزاج السكاني مع هجرات القبائل الصنهاجية الوافدة من الشمال الإفريقي، تعيش قبائل الصنعي في جمهوريات مالي والنيجر ونيجيريا وهي تتحدث لغة الصنغي التي تكتب بالحرف العربي[4].

المطلب الثاني: مملكة مالي:

أسس هذه المملكة شعب زنجي هو شعب الماندنجو بمعنى المتكلمون بلغة الماندي ، يلقبها بعض المؤرخين بلقب مليل أو ملل[5] ، بينما يسميها البعض الآخر بمالي. وتقع بين بلاد برنو شرقا والمحيط الأطلسي غربا وجبال البربر شمالا وفوتاجلون جنوبا[6] وقد اشتهرت مالي باسم بلاد التكرور، وهي أحد أقاليمها الخمسة التي اشتملت عليها المملكة زمن قوتها وازدهارها، وكان كل إقليم منها عبارة عن مملكة مستقلة استقلالا ذاتيا لكنها تخضع لسلطان مالي، وهذه الأقاليم هي:

- مالي ويتوسط أقاليم المملكة.
- صوصو ويقع إلى الجنوب من مالي.

1 . أحمد نجم الدين فليجة، إفريقية دراسة عامة وإقليمية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعية، 1978م، ص 39.

2 . ابي عبيد البكري، المسالك والممالك، ج1، تح: د.جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص 179.

3 . عبد القادر زبادية، مملكة صنغي في عهد الأسكيين 1493 – 1592، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ت، ص 25

4 . السعدي، تاريخ السودان،، باريس، مكتبة ادريان موزونوف، ص 3.

5 . الهادي الدالي التاريخ السياسي والاقتصادي الإفريقيا، ص 112.

6 . كولين ماكيفيدي، أطلس التاريخ الإفريقي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987، ص 95.

- غانه ويقع شمال مالي ويمتد إلى المحيط الأطلسي.
- كوكو ويقع شرق إقليم مالي.
- تكرور ويقع غرب مالي حول نهر السنغال[1].

المطلب الثالث: مملكة سانغاي

تعد مملكة سنغاي[2]. أحد ممالك السودان الغربي التي ازدهرت في المناطق الواقعة بين حوض نهر السنغال ونهر النيجر، وكانت دولة سنغيتشابه مملكتي غانه ومالي من حيث استجابتها للإسلام والمؤثرات الثقافية العربية الإسلامية الوافدة من الشمال الإفريقي.

تأسست هذه المملكة في القرن السابع الميلادي، من قبل قبائل سنغاي المقيمة على وادي النيجر ، وقبائل من البيض التي قدمت من شمال إفريقيا ومن برقة بصورة خاصة أن يستولي على تلك المنطقة واخضاع سكانها الذين انتموا إلى عشيرة السوننكي واختلطت هذه الجماعة بالوطنيين السوننكي حتى تغير لونها بطول الزمن وأخذت لغة الوطنيين[3].

قد بلغت ذرة مجدها وعظمتها ما بين القرن الثالث إلى منتصف القرن الخامس الهجري التاسع عشر ميلادي، وعندما اتسعت رقعتها امتدت من نهر النيجر إلى ساحل المحيط الأطلسي غربا وشمالا عند حافة الصحراء الكبرى[4] . واستمدت غانه عظمتها من اشتغال سكانها بالتجارة حيث استطاعت هذه الأخيرة دورا هاما في اقتصاديات العصور الوسطى، بحيث كان الذهب يوجد بكثرة في ونقارة[5].

وملك غانه العظيم وهي أرض البشر وهو صاحب عدة ممالك كثيرة".

وسنغاي نسبه إلى قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود والغابات الاستوائية في سنوات الميلاد، وفي القرن 7م كانت تمتد مساكنها حول النيجر .

وأطلق عليهم في البداية اسم عائلة زا أو ضياء" وهي عائلة من منطقة طرابلس وحكمت حتى سنة 1335 [6].

---

1 . القلقشندي، المرجع السابق، ص 292.

[2].للمزيد حول الحدود الجغرافية لهذه المملكة ينظر: الملحق رقم 02.

[3]. محمد فاضل على باري، وسعيد إبراهيم كريدية، المرجع السابق ص 60

[4]. الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص 21

[5]. عبد الله عبد الرزاق: موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية التاريخ الحديث والمعاصر، إنتشار الإسلام في غرب الإفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة 2008، ج 2، ص 13.

[6]. عبد القادر زبادية المرجع السابق، ص 20

ويؤكد السعدي أن الأيمن أول ملوك سنغاي جاء من اليمن، وقد أصبحت مدينة غاو العاصمة منذ القرن الحادي عشر، أما قبل ذلك فقد كانت العاصمة هي مدينة كوكيا على نهر النيجر الأدنى بين جاو وتيلابيري وهي لا تبعد عن جاو سوى بحوالي مائة وخمسين كليو مترات إلى جهة الجنوب[1] ، وكانت مملكة غاو في عظمة غانه ذات أهمية وأشار إلى ذلك اليعقوبي عندما ذكر أن كل ملوك الزنوج يدفعون الجزية للكوكو أو غاو[2] . إلا أن الحركة التي قام بها المرابطون أدت إلى انتشار الإسلام في كل منطقة السودان الغربي وازداد عدد الداخلين إليه في مملكة سنغاي[3].

يعتبر تسلم الاسقيا مُحَمَّد عرش سنغاي بداية عهد انتظام المملكة وبداية حكم في التكرور والبلاد، ولذا فقد اقترن ذلك الحادث بفرح عم غالبية بلاد سنغاي[4] ، وحكم آل اسقيا بين 899 - 999هـ / 1493 - 1591م، وتصل دولة سنغاي إلى أقصى ازدهارها في عهدهم وخاصة في عهد الأسقيا مُحَمَّد الكبير [5] (24-935هـ / 1421 – 1528).

في الأخير: ومنه نستنتج أن بلاد السودان الغربي امتازت بموقع استراتيجي هام، ضم عدد كبير من القبائل التي استطاعت تأسيس ممالك وامبراطوريات، لعبت دور كبير في تاريخ المنطقة، ضف إلى ذلك التفتح الاقتصادي والثقافي والسياسي الذي ظهر مع ظهور الاسلام.

---

[1]. عبد القادر زبادية المرجع السابق، ص 4

[2]. اليعقوبي أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، دط، دت، ج1، بيروت، ص 222

[3]عصمت عبد اللطيف: المرجع السابق، ص 127

[4]. عبد القادر زبادية المرجع السابق، ص 68

[5]. صعد إلى الحكم وعمره خمسون سنة وحكم سنغاي من 899 إلى 934هـ، ... على الحكومة كثير من الإصلاحات وكان الأسقيا كقادة في التنظيم السياسي، ميالا إلى الدين والعلم، شهد حكمه انتعاشا إسلاميا وعلميا وانتعاش التجارة الخارجية، وقام بفتوحات كبيرة بدأها بمملكة الموسى واستطاع أن يضم إلى مملكته بقية مملكة مالي القديمة وغيرها وكان مضرب الأمثال ضمن الأمن وانتشر العدل ودرب جيشا كبيرا ليحمي به دولته، ثم أنه شجع إنشاء المدارس في تنبكت وأرغم النساء على العزلة في الحريم وارتداء الحجاب، ثم رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج وعند رجوعه صب اهتمامه كله على محاربة الوثنية في الجنوب وكانت خاتمته مأساوية حيث ثار ضده أولاده ينظر عبد القادر زبادية المرجع السابق، ص 32 محمود كعت المرجع السابق، ص 22 السعدي المصدر السابق، ص 73 مادهوياتيكار: المرجع السابق، ص 119.

الفصل الأول:

الإسلام في السودان الغربي

من القرن (2هـ إلى 7هـ)

المبحث الأول: من الوسائل التي ساعدت على انشار الإسلام في السودان الغربي

المطلب الأول: التجارة

المطلب الثاني: قوافل الحجاج

المطلب الثالث: الدعاة وجهودهم في أسلمة السودان الغربي

المبحث الثاني: العوامل المرتبطة بالعقيدة الاسلامية ومظاهر تأقلم السودان الغربي

المطلب الأول: العامل الاقتصادي

المطلب الثاني: العوامل الاجتماعية والثقافية

المبحث الأول: من الوسائل التي ساعدت على انتشار الإسلام في السودان الغربي:

انتشر الإسلام في السودان الغربي بطرق سلمية، فكان انتشاره بفضل عدة عوامل منها التجارة والدعاة، قوافل الحج.

المطلب الأول: التجارة:

لقد كان للتجارة دور هام في ربط العلاقات بين العرب والمشرق العربي شمال إفريقيا وشعوب بلاد السودان الغربي وعن طريقها انتشرت الثقافة الإسلامية، فكان دخول المسلمين إلى هذه البلاد بهدف، التجارة في البلاد، حيث اختلط مع الإفريقي ورأى هذا الإفريقي تصرفات التجار المسلمين وصفاتهم والسلوك الجيد وهذا ما جعله يعتنق الإسلام[1]، حيث رأوا أن التجار المسلمين لا يفرقون بينهم وقد علموا عند تنقلهم بين المراكز التجارية يتواصلون بسكان هذه البلاد ويؤثرون فيهم بأخلاقهم وأمانتهم، وانتهى هذا التواصل بدخول العديد من أهل بلاد السودان الغربي إلى الإسلام والسبب في هذا أن بعض التجار كانوا يجمعون بين التجارة والعلم، حيث كانوا يعملون على إنشاء حلقات للتعليم القرآن الكريم، وقد رأى الإفريقي الوثني أو المسيحي في تصرفات هؤلاء التجار وسلوكهم الشخص، القدرة الحسنة التي أقنعته بصحة هذه الرسالة التي لا يقيم وزنا للون أوالجنس أو الجاه بقدر ما تقيم وزنا لطاعة الله وتوحيده وحسن معاملة الآخرين وكان لثراء التجار دورا مهما وكبيرا في تحسين صورة الإسلام في غرب إفريقيا، فبناء التجار لمنزل وجعله مأوى للمحتاجين، حيث أصبح الناس يلتفون به، ويقيمون التجار الصلاة وبذلك يتبعهم باقي السكان[2].

وبهذا أصبح التجار يشكلون طبقة متميزة في المجتمع، وحرص هؤلاء على تعليم أبنائهم في المدارس والمساجد والزوايا وغيرها من المراكز العلمية ، حيث أدى ذلك إلى الإختلاط والتبادل الثقافي بين مسلمي المنطقة والتجار الوافدين أنظر الملحق رقم 05.

المطلب الثاني: قوافل الحجاج:

ساهمت رحلات الحج دورًا كبيرًا في نشر الإسلام والتواصل الثقافي بين المشرق العربي وبلاد السودان الغربي، ولقد كان حجاج السودان الغربي المتجهون شرقًا يشعرون بأهمية اطلاعهم على كل

1 . برايمباري، جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي، القاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص 88.

2 . محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة إنتشار الاسلام وموقف بعض المتشرقين طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، ط3، 1983، ص 219.

ما يجري في تلك البقاع من أحداث، والإطلاع على ما احتوته تلك الربوع من أثار الصحابة الكرام والعلماء[1].

وكذلك كان للحج دور كبير في نقل اللغة العربية والثقافة الإسلامية إلى القارة، فقد كان بعض الحجاج يبقون في الحجاز قصد الحج، وتحصيل العلم والمعرفة ثم يرجعون إلى بلدانهم لنشر العلم الذي حصلوا عليه في الحجاز، وكان بعض الأمراء والملوك الأفارقة حين حجهم يستقدمون إلى بلدانهم بعض العلماء لتعليم الإسلام واللغة العربية ويجلبون معهم كتبا في العلوم الإسلامية والعربية والثقافة الإسلامية وأشهر الرحالات التي سجلتها تاريخ السودان ومن أهمها: رحلة منسي موسى قام بها سنة 720 هـ /1324م، رحل إلى الحجاز وشجع الثقافة الإسلامية وخاصة في تمبكتو وجيني و شد عددا من المساجد، وكذلك رحلة حج الحجاج أسكيا مُحَمَّد، الذي قام باستقدام العلماء والفقهاء وأكثر من بناء المساجد والزوايا، ثم قرر التوجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وكان ذلك سنة903هـ/1497م فاشترى قطعة ارض في المدينة المنورة لتكون نزلاً لإيواء حجاج بلاد السودان الغربي، وكانت هذه الرحلة للبقاع المقدسة من اشهر رحلات الحج بعد رحلة منسى موسى[2].

المطلب الثالث: الدعاة وجهودهم في أسلمة السودان الغربي:

كان للفقهاء والحكماء دورًا هامًا وكبيرًا في تدفق المؤثرات العربية الإسلامية، وإزدهار الحضارة العربية الإسلامية بالسودان الغربي، حيث كان هؤلاء يدعون الناس إلى الاسلام ويحفظون القرآن ويفقهونهم أمور دينهم، وأصبحت قرى السودان الغربي تضم دورا لإستقبال الفقهاء والدعاة الذين أصبحوا يعاملون بأعظم مظاهر التقدير والإحترام، وقد تعاون التاجر والداعي لنشر دين الإسلام في غرب إفريقيا[3].

ومن أبرز خصائص إنتشار الإسلام في بلاد السودان أنه إبتدا بالملوك والأثرياء وأبناء الطبقة العليا في ذلك المجتمع، الأمر الذي شجع الناس على الإعتقاد بأن القرآن هو سر نجاح الفرد منهم في تحقيق أهدافهم الإجتماعية والاقتصادية لذلك إعتنقوا الإسلام، وهكذا بلغ الدعاة مبلغا كبيرا عند عامة السودان وقد زادت أهمية الدور الذي يقوم به دعاة المرابطين بعد الفتوحات الكبيرة التي قام بها جنس المرابطين ويتعقبون الجيش الفاتح لتعليم الناس قواعد الاسلام، وليعلموا على تدعيم الدين

1 . أمير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الاسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، بنغازي، دار الكتب الوطنية، دط، دت ن، ص 165

2 . مُحَمَّد أبو مُحَمَّد إمام، سيادة المذهب المالكي في إفريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الاسلامية، وزارة الارشاد والأوقاف، جامعة إفريقيا العالمية، 1427هـ/2006، ص96.

3 . حسن الوازن: وصف افريقيا، تر: عمار ومُحَمَّد الأخضر، لبنان، ج2، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1983، ص 125..

ويرجع الفضل في تحويل الكثير من أهالي البلاد إلى الإسلام والتي يعترف فيها المتحول إلى العقيدة الاسلامية.

كما وجدنا عوامل أخرى ساهمت في نشر الاسلام ومنها تأثير المسلمين في عقول ونفوس سكان المنطقة وهذا من خلال ممارسة الانشطة المتكررة للمسلمين، إنطلاقا من الطهارة والوضوء والصلاة الجماعية، وكذلك الأنشطة الدينية من خلال شهر رمضان كالصيام وصلاة التراويح، وكذلك يذهبون المسلمون إلى أداء فريضة الحج، لذلك أثرت تأثيرا كبيرا في عقولهم وأنفسهم[1].

برزت فئة من الفقهاء والعلماء الذين أسهموا في ازدهار الحركة العلمية في بلاد السودان الغربي، إضافة إلى دورهم المهم في شتى المجالات كالاجتماعية والسياسية، فبرز رواد في شتى صنوف المعرفة خصوصا علوم الشريعة، ضف إلى ذلك جهودهم في إنتاج الفكري بينهم وبين الأمصار الإسلامية الأخرى .

1. **الفقيه محمود بن أحمد التازختي(ت: 936هـ/ 1529م)**: فقيه وعالم محدث درس على يد الفقيه أحمد بن عمر أقيت ، ثم ارتحل إلى مدينة تكدة وجالس الإمام المغيلي،وأخذ عند العلم وكانت له رحلة إلى مصر وبلاد المشرق بصحبة الفقيه محمود بن عمر أقيت، التقيا من خلالها بالقلقشندي، وشيخ الإسلام زكرياء وعبد الحق الشياطي، حيث أخذ عنهم مجموعة من العلوم ، فأصبح من المتنقل عليه في علم الحديث، وبعد عود نه اشتغل بالتدريس والإفتاء إلى جانب القضاء.
2. **الفقيه أحمد بن عمر بن مُحَمَّد أقيت التنبكتي(ت: 942هـ/1536م)**: المعروف بالحاج أحمد، وهو أكبر الأخوة الثلاث المشهورين من عائلة أقيت، كان من أهل الخير والفضل والدين حافظ على السنة وتقلع في الفقه والعلم، كانت له رحلة حج سنة 890هـ/1485م لقي فيها جلال الدين السيوطي، ثم رجع السودان الغربي أين جلس للتدريس بجامع سنكري وبقي في التدريب والتأليف لغاية وفاته[2].

[1] . الفيتوري عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الاسلام)، بنغازي، 1997، جامعة فان يونس، ط1، ص 106.

[2] . رزوق أسماء وعصيد لطيفة، المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي، (ق5-11هـ/17-11م)، مذكرة لنيل شهادة ماستر في تخصص تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي، كلية العلوم الانسانية والإجتماعية، قسم العلوم الانسانية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2020/2019م، 1441-1442هـ، ص 53.

3. **الشيخ الفقيه أبو المحاسن محمود بن عمر بن مُحَمَّد أقيت(ت: 955هـ/1448م)**: هو فقيه وعالم اشتغل بالقضاء ، من أجل أعلام العلماء في بلاد السودان الغربي،سافر لأداء فريضة الحج، التقى بمجموعة من الشيوخ كالشيخ زكريا بن مُحَمَّد الأنصاري(ت: 926هـ)وشمس الدين اللقاني (ت: 958هـ)وغيرهما، ثم رجع إلى بلده فجلس لتدريس والإفتاء، وتولى القضاء في تنبكت من عام
4. (904هـ / 1584م) لغاية وفاته 955هـ.
5. **الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت (ت: 991هـ/ 1584م)**: هو فقيه وعالم، درس بجامع السنكري صحيح بوخاري وسلم، وله إنتاج علمي غزير مكتوب بخط يده كتعليقاته على وغزى النوبة في العقيدة، وشرح على منظومة القرطبي في الفقه .
6. **الفقيه مُحَمَّد بن محمود بغيغ الونكري: (ت: 4002هـ / 1593م)**: عالم وفقيه متفتن ورع صالح من خيار عباد الله الصالحين، كان محققا ومداركا ذكيا فطنا لأمور الدين .
7. **القاضي محمود كعت (ت: 1002هـ/ 1593م)**: عالم من العلماء المخضرمين الذين عاصروا فترة الحكم سني علي، درس علم الفقه والحديث، واشتغل بالتدريب إلى جانب القضاء، تتلمذ على يده أحمد بابا التنبكتي[1] .
8. **الفقيه أحمد بابا التنبكتي(ت: 1036هـ/1626م)**: عالم من علماء الأفذاذ، اجتهد في بداية حياته في خدمة العلم وحفظ القرآن الكريم ، وظل في مهنة التدريس، وقضى حياته فيها إلى أن توفي وخلف وراءه نتاجا علميًا كبيرًا في السودان الغربي، والتنبكتي من أكثر العلماء السودان تأليفا في جل المجالات وخاصة في مجال الفقه والتاريخ .
9. **الفقيه مورمغ كنكنكي**: عالم وفقيه زاهد ، امتهن التدريس، فكان يلقى الدروس في الجامع، وكان يخرج من بيته في منتصف الليل حتى صلاة الصبح ثم يستمر إلقاء الدروس حتى الزوال.
10. **الفقيه مُحَمَّد الكابري (توفي خلال القرن 10هـ/16م)**: هو فقيه وعالم، من فقهاء تنبكت سكنها في القرن التاسع الهجري، عاصر مجموعة من العلماء وأخذ عنه العلم الكثير من الطلاب، فقد تولى التدريس بجانب الإفتاء[2].

1 . التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطوير الديباج، م ج ك2، تح: علي عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004، ص 587.

2 . مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والاسلام والتعليم في غرب إفريقيا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ط1، 1998، ص 373.47.

المبحث الثاني: العوامل المرتبطة بالعقيدة الاسلامية ومظاهر تأقلم السودان الغربي بها

تعددت عوامل انتشار الاسلام في منطقة السودان الغربي منها ما هو اقتصادي وديني وثقافي.

المطلب الأول: العامل الاقتصادي:

لعبت التجارة دورا هاما في بلاد السودان الغربي لما لها من تأثير مباشر على البيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فقد ساهمت التجارة ومنذ القدم في ازدهار العديد من الحضارات وهذا ما حققته التجارة في بلاد السودان بشكل عام والسودان الغربي بشكل خاص وهذا منذ القدم

فكان لاستقرار التجار العرب المسلمين في هذه المناطق واختلاطهم مع الافارق دور في تعليم سكانها التجارة وفقا الشريعة الاسلامية وربط المنطقة بالعالم الإسلامي بشكل كبير فتوافد الكثير من التجار العراقيين إلى سجلماسة كمقدمة للتوغل في بلاد السودان الغربي ونقلو بذلك إلى سكان البلاد الأخلاق الحسنة وهذا ما ذكره ابن حوقل في قوله "انهم حسني الأعمال ولهم كمال في الأخلاق وصدق في معاملاتهم[1] " .

ومما ذكرته المصادر كذلك في هذا الشأن هو أن العديد من التجار العرب المستقرين في اودغشت اشتغلوا كوكلاء وتجار بين شمال الصحراء وجنوبها كما أنهم استخدموا بعض الأساليب التجارية لم تكن معروفة في بلاد السودان الغربي كاستخدامهم للصكوك التجارية، هذا دليل على مدى التأثير الذي نقله التجار العرب إلى هذه المنطقة كما أن المصادر ذكرت مدى الاحترام الذي لقيه التجار من قبل حكام وملوك السودان الغربي ، ومع حلول القرن 8هـ/14م أصحبت قوافل التجارة في هذه المناطق تعم جميع الفئات يعدما كانت مستغلة من قبل الملوك فيما مضى[2] .

المطلب الثاني: العوامل الاجتماعية والثقافية:

1. **العوامل الاجتماعية:** يمكن اعتبار العلاقات الاجتماعية أهم العلائق بين المغرب الأوسط والسودان فهي الأقدم في الامتداد والتداخل خصوصا من الأجزاء الشمالية وعمقها الصحراوي وذلك بحكم أن قسم كبير من القبائل الأمازيغية استوطنت الفضائي منذ أقدم العصور وحتى بعض المجموعات العربية فيما بعد ومع وصول الإسلام إلى المنطقة تم تذليل صعوبات إختراق الصحراء على قساوة ظروفها ولاشك بأن العامل الاجتماعية والديمغرافي كان حاسما في تسهيل التواصل بين شمالا بات اسلاميا وجنوبا كان ما يزال على سمته الوثنية القديمة .

1 . ابن حوقل، أبي القاسم، النصبي صورة الأرض، دار مكتبة الحياة بيروت البنان 1992، ص 99.

2 . ابن حوقل بين القاسم النصبي مرجع سابق ذكره، ص 58.

ولا يتوقف دور الجانب الاجتماعي من التقارب الناتج عن وحدة العرق واللغة بل يتجاوز ذلك إلى تقارب الطباع والفكر[1].

2. **العوامل الثقافية:** من أهم العوامل التي أدت إلى انتشار الإسلام تذكر

أ- **التجارة وحسن التعامل:** وذلك بيدو واضحا في أن حركة الإسلام ظلت لأكثر من 10 قرون محصورة في الساحل ولم يتوغل الى ما وراءه إلا في القرن 19 حتى حينما بدأت أن انتشارها هناك فإنها كانت محكومة إلى حد كبير بطرق التجارة وعلاقات التجارة ولم تتغير تلك القاعدة إلا في ظل الاستعمار حينما بدأت عناصر جديدة تمارس دورها في إنتشار الإسلام وترسيخه وكان التاجر المسلم سواء في العرب أو ممن أسلموا من أهالي المنطقة يجمع بين التجار ونشر الإسلام[2] .

ب- **الهجرات:** فقد المهاجرون من المسلمين العرب والتجار المغاربة إلى مناطق غرب إفريقيا حيث مثلت الهجرة وسيلة من وسائل إنتشار الإسلام في أفريقيا عامة، من ناحية ما سهل عملية نشر الإسلام في السودان الغربي وهو التجار من خلال سهولة التنقل إلى المنطقة عن طريق الطرق التجارية[3].

ج- **نشأة المدن وقيام الممالك:** عرف العالم الاسلامي تطورا عمرانيا كبيرا للعالم الاسلامي، وقد حدث هذا خلال فترة إزدهار الحضارة الاسلامية واعتمد أساسا على الازدهار الاقتصادي الذي يكاد ينحصر في تلك الفترة على النشاط التجاري، وهو النشاط الذي يكمن وراء تطور المدن وانتشار شبكة المماليك التجارية ومن أهم الممالك التي ظهرت كما ذكرنا سابقا، مملكة مالي، غانا، سنغاي وهذه التي دخل إليها الاسلام بفضل جهود العلماء والتجار المغاربة.

[1] . دحمان مسعود، فرحات هجيرة، التجارة المغاربية ودورها في نشر الإسلام في منطقة السودان الغربي، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تخصص أفريقيا جنوب الصحراء، جامعة أدرار، أدرار، 2021/2020، ص 29.

[2] . https//.www.qur.aata.f.ri.can.com/home/1ew/ شوهدة يوم1جوان على ساعة العاشرة صباحا

[3] . دحمان مسعود، فرحات هجيرة، مرجع سابق، ص 30.

المطلب الثالث: مظاهر الانفعال وتأقلم السودانيين مع العقيدة الاسلامية.

رأى ابن بطوطة عدة خصال في المجتمع السوداني لانفعالهم مع الاسلام ذكر منها:

مواضبتهم على الصلوات، وإلتزامهم لها في الجماعات أو ضرب أولادهم عليها، وإذا كان يوم الجمعة لم يبكر الانسان إلى المسجد لم يجد أين يصلي من كثرة الزحام، و من عادتهم أن يبعث كل مسلم غلامه سجادته، فيبسطها له بموضع يستحق بها حتى يذهب إلى المسجد.

ومنها لبسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة، ولو لم يكن لأحدهم إلى قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة[1] .

ومنها عمانيتهم بحفظ القرآن الكريم، ويجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه، فلا تفك عنهم حتى يحفظوه.

ومن بين المظاهر الإيجابية كذلك، التي تبرز مدى رسوخ التعاليم الإسلامية في نفوس أهل مالي، وتشوقهم الدائم لفريضة الحج، واعتناؤهم الكبير بشهر رمضان الكريم.

وحسب تلميحات ابن بطوطة، فقد كان سلاطين مالي يحيون شهر رمضان بالذكر الحكيم، وذلك بحضور القاضي والخطيب والفقهاء والأمراء، وكانت ليلة القدر تحظى بإجلال وتكبير عظيمين، وفيها كان السلطان يفرق المال على الحاضرين، ويسمونه الزكاة.

وأمام المظاهر التي وقفنا عندها، التي تبرهن على التعلق الكبير للسودانيين بالتعاليم الإسلامية، وتعلقهم بآل البت كما سنرى شيكا، وبالنظر يا كون جل مناطق المغرب المريني كانت ممثلة في إمبراطورية مالي من خلال تجار وفقهاء ومعلمي الصبيان.

ويدلنا هذا السلوك على الجانب آخر من جوانب التأثير المغربي في الحياة الإسلامية السودانية، فالمشهور عن أهل المغرب تعظيمهم الكبير الرسول (ﷺ)، لهذا السبب كانت جل القبائل البربرية في الصحراء وبلاد المغرب، والأسر البربرية التي تعاقبت على حكم المنطقة خلال العصر الوسيط.

وإن أي شيء يمت للإسلام بصلة كان يكستب قدرًا عظيما من الإجلال والتقدير لدى السلاطين السودانيين فبالإضافة ما تقدم، تشهد المصادر على أن أهل مالي حكامًا ورعية، كان لهم

[1] . أحمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني، امبراطورية مالي، المجمع الثقافي، الامارات العربية المتحدة، 1230_1430م، ط1، أبو ضبي، ص 203.

إعتناء كبير ببناء المساجد، وقد تنامي اهتمامه بها خاصة في عهد الإزدهار، حيث أظهر السلاطين مالي اهتمامًا بالغا لهذا الشأن.[1]

تلكم شكلت أهم المظاهر التي حاول من خلالها السودانيين على عهد مالي . التعبير عن مدى إستيعابهم وتشيعهم بالتعاليم الإسلامية، وهذه المظاهر في مجملها، تعكس التأثير العميق الذي تركته العقيدة الإسلامية في نفوس السودانيين واجتهاد حكام مالي منذ بداية أمرهم في إعتماد الاسلام كقاعدة أساسية لتوجهاتهم السياسية.[2]

يعتبر التجار من الروافد الهامة لانتقال الإسلام والثقافات الاسلامية إلى أقطار السودان وهذا من خلال المؤهلات الاقتصادية القائمة بين التجار ومنطقة السودان الغربي بفضل الصبر وخبرة التجار استطاعوا أن يقيموا مراكز تجارية في منطقة السودان الغربي تتبادل فيه مختلف السلع وتطورات هذه المراكز التجارية لتصبح مراكز علمية ومساجد يدرس فيها العلم وينشر فيها الدين الاسلامي ومعالمه وكذلك نشر الثقافة الاسلامية.[3]

[1] . أحمد الشكري، نفس المرجع، ص 204-208.

[2] . الاسلام والمجتمع السوداني، امبراطورية مالي 1230/1430، ت أحمد الشكري، ط1، أبو ضبي المجمع الثقافي، 1999،، ص 209.

[3] . نفس المرجع، ص 211

الفصل الثاني:

دخول المذاهب الفقهية لبلاد السودان الغربي

المبحث الأول: المذهب الإباضي ودور الفقهاء في ترسيخ الإسلام في السودان الغربي

المطلب الأول: تعريف المذهب الإباضي وانتشاره في السودان الغربي وممالكها

المطلب الثاني: جهود الدعاة الإباضية في ترسيخ الإسلام

المبحث الثاني: المذهب المالكي ودور فقهائه في ترسيخ الإسلام

المطلب الأول: تعريف المذهب المالكي وانتشاره في ممالك السودان

المطلب الثاني: الدعاة المالكية ودورهم في أسلمة الحكام

المبحث الأول: المذهب الإباضي ودور الفقهاء في ترسيخ الإسلام في السودان الغربي:

المطلب الأول: تعريف المذهب الإباضي وانتشاره في السودان الغربي وممالكها

يعتبر المذهب الإباضي من مذاهب الخوارج، وهو مذهب اعتدالا وأقربهم إلى الجماعة تذكيرا، فهو مذهب انتشر في بلاد المغرب وكانت الدولة الرسمية على هذا المذهب، فانتشر هذا المذهب في بلاد السودان الغربي بفضل جهود الدعاة والتجار الاباضيين، وقد كان لهم دور كبير في نشر وترسيخ المذهب الإباضي*.

وقد برز فقهاء الإباضيين في ميدان الدعوة بفضل سلوكهم الحضاري الذي أدهش التجار السودانيين وملوكهم، وهو السبب الذي جعل هذا المذهب يبقى مقتصرًا على مناطق تواجد تجار الإباضية، بالإضافة إلى دورهم الديني في نشر الإسلام، فقد ساهم الخوارج بجانب كبير في الجانب الاقتصادي بحكم ممارستهم للتجارة الصحراوية[1].

المطلب الثاني: جهود الدعاة الإباضية في ترسيخ الإسلام:

1. **الشيخ علي بن يخلف الدرجيني:** انتشر الإسلام في بلاد السودان العربي بفضل المسلمين الأوائل منذ القرن(2هـ/8م)، الذين أولوا على أنفسهم مسؤولية الدعوة الشعوب إلى عبادة الله وترك العبادات المحلية المتوارثة من وثنية واعتقادات قديمة، وقد كان النشاط التجاري الرابط بين طرفي الصحراء خير سبيل للتعريف به وبقيمه السمحاء، كان للاباضية دور بارز في اسلمة ممالك جنوب الصحراء او بلاد السودان الغربي اخوانهم إباضية المشرق بنشر الإسلام في ربوع شرق أفريقيا، تجار عمان خاصة، ومارسوا دعواتهم على شكل أفراد أغلبهم من العرابة وكانوا تجارًا فقهاء استطاعوا أن يؤثروا في الملوك قبل الشعوب بأخلاقهم ومعاملاتهم والنتيجة كانت انتشار الإسلام في وقت وجيز، وقائمة المشايخ التجار الاباضيين طويلة نذكر أشهرهم وهو الشيخ أبو الحسن على بن يخلف التيمجاري الدرجيني (ق6هـ/12م) الدرجيني صاحب كتاب الطبقات، الذي أسلم على يده المسلماني ملك مملكة مالي وشعبه حوالي سنة(57هـ/1179م)، فقد كان أنموذجا للفقيه الداعي التاجر الاباضي الذي سخر علمه وماله في سبيل نشر الاسلام، وتناولنا للدرجيني يكون في الحديث

* تعريف المذهب الاباضي: هم أتباع عبد الله بن إباض وهم أكثر الخوارج اعتدالا، وأقربهم إلى الجماعة الاسلامية تفكيرًا. علي يحي معمر، الاباضية بين الفرق الإسلامية، مكتبة الغامري للنشر، ط3، عمان، 2014، ص94.

[1] . الدرجيني بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب العربي، ج1، تح: ابراهيم طلابي، دن، دط، م ن، ص 267.

عن سيرة حياته، علاقته بملك مملكة مالي، وكيف استطاع أن ينقل المنطقة من أغلبية وثنية إلى أغلبية مسلمة[1].

كانت علاقة الرستميين ببلاد السودان الغربي في جملتها علاقات تجارية[2] وذلك نظرا لامتلاك الدولة الرستمية أهم المنافذ الصحراوية التي تقع على طرق التجارة مع بلاد السودان، ومن أهم هذه القواعد نذكر كل من ورجلان التي كثر السفر منها إلى بلاد السودان وكذلك غدامس التي كانوا يسافرون منها إلى كانم[3].

أهم منتجات القوافل الرستمية إلى بلاد السودان هي ثياب الصوف العطور الأصداف والفخار وغيرها من السلع، لكن أهم السلع[4] هي قطع الملح التي كانت تتم مقايضته مقابل السلع من بلاد السودان. رغم أن ما يظهر في طبيعة هذه العلاقة بين الدولة الرستمية وبلاد السودان ذات طابع اقتصادي إلا أنها تحمل في طيتها طابع ديني إذ كان هنالك دور للأئمة والعلماء الإباضية في نشر الإسلام والحضارة الاسلامية في السودان الغربي، ومن بين هؤلاء الإمام الرستمي عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم.

2. **الإمام الإيباضي *عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم:** تربى في كنف والده وأخذ عنه الخصال الحميدة وتعلم على يده العلوم الدينية واللغة فأتقن عبد الوهاب العربية والبربرية والصوفية[5]، تولى عبد الوهاب الخلافة إثر وفاة والده العظيم 168 هـ 784م، حيث أنه اختير من بين 07 رجال من مشاهير القوم[6].

---

[1] . الزرويل صالح، الشيخ علي بن يخلف الدرجيني ودوره في نشر الاسلام بمملكة مالي، مجلة هيرودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية 2023/12/31، رقم 04، ص 184.

[2] . صلاح الدين منجد مملكة مالي عند الجغرافين المسلمين دار الكتاب الجديد، بيروت، 1963، ص 21.

[3] . أبي الحسن علي ابن موسى ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، للطباعة والنشر بيروت 1980م، ص ص 126-128 .

[4] . السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامي، دار القومية للطباعة والنشر مدب، 1966م 583.

* . الإباضية: إحدى فوارق الخوارج انتشرت في المغرب الأدنى (طرابلس جبل نفوسة و المناطق المجاورة و إنتهت الزعامة فيها إلى عبد الرحمن بن رستم سنة 140هـ في تهرت المغرب الأوسط أنظر بشار اكرام الفلاح: التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي من القرن 5 – 9هـ/11م – 15م دار غيداء لنشر والتوزيع، 2013، ص 115.

[5] . عبد الكريم يوسف جودت العلاقات الخارجية لدولة الرستمية المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر مدت خط، ص 63.

[6] .أبي ربيع سليمان الباروني مختصر تاريخ الإباضية د د ن د بن، د س ن ط ص 40 .

عرف عن عبد الوهاب أنه كان محبا للعلم والعلماء حيث أنه قربهم إليه واستعان بهم في أمور ولايته[1]، وكان بيت الرستميين بيت العلوم والفنون كما أنه كان خادم للإسلام ومن بين ما قدمه عبد الوهاب للإسلام هو نزوله إلى جبل نفوسة عندما كان قاصدا الحج حيث أقام فيه 07 سنوات يلقن قبائلها أمور الدين والصلاة.

كما أنه ألف كتاب يعرف بمسائل نفوسة الجبل وهو كتاب يجيب فيه عن بعض المسائل سألته عنها نفوسة أما عن علاقته مع ملوك السودان وهذا ما يشير إليه الدرجيني حين يذكر لنا حادثة مفادها أن ابنه أفلح أراد السفر إلى مملكة كوكو مع التجار الباضيين لكن الامام عبد الوهاب رفض ذلك نضرا لفشل أفلح في حل مسألة فقهية تتعلق بالربا[2].

وهذا يدل على حرص الإمام عبد الوهاب على اختيار التجار إلى بلاد السودان يكون عالمين بأمور دينهم ونعتقد أن السبب ليس اقتصادي فقط بل ديني.

إذ لم يكن عبد الوهاب الوحيد من تربطه علاقات طيبة مع ملوك السودان الغربي بل وحتى إبنه أفلح ابن عبد الوهاب الذي تولى أمور الخلافة بعد وفاة والده رحمه الله سنة 190هـ 805م[3]، الذي أصبحت العاصمة تهرت أحد المراكز التجارية الرئسية في إفريقيا الشمالية إهتم بالعلم و التدريس إذ كان يدير ثلاث حلقات علمية بنفسه واحدة بعلم الكلام و أخرى بالغة العربية و الثالثة بالفقه[4].

3. **أفلح بن عبد الوهاب:** يظهر دور أفلح ابن عبد الوهاب في السودان الغربي عندما أرسل سفارة إلى ملك سوداني مع سفيره مُحَمَّد بن علاقة الذي حمل بهدية من الإمام أفلح إلى ملك السودان فأعجب الملك بجمال وجه مُحَمَّد بن عرفة وحسن أخلاقه، ورغم ان المصادر لم تذكر ولم تحدد هوية الملك السوداني إلا أن هنالك دراسة تشير أن هذا الملك السوداني هو ملك غانه أعظم مملكة في السودان الغربي لأن هذه الفترة تزامنت مع فترة حكم الإمام أفلح ابن عبد الوهاب[5]، كما أن السفارة

[1] . أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب حققه و قام بطبعه إبراهيم طلاي مطبعة البعث الجزائر دت، ج 2، ص 48.

[2] .الدرجيني: المصدر السابق ص 320.

[3] . ابن ربيع سليمان الباروني المرجع السابق، المرجع السابق، ص 44.

[4] . تاديوش ليفشكي، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، تر، ما هر جزار ربما جزار منشورات الثقافية سلسلة أبحاث تاريخية، 2007 ص 88.

[5] . نور الدين شعباني، التواجد المذهبي في السودان الغربي مابين القرنين 5 و 10 للهجرة، مجلة كان التاريخية، ع 12 ديسمبر 2012، ص 37.

في ذلك الوقت لم تكن وظيفة و إنما كانت مهمة يكلف بها الملك من يراه أهلا بالثقة من الثقات[1]، و هذا ما يزيد من صحة إعتقادنا أن العلاقة و الاتصال بين الدولة الرستمية و ملوك السودان يتعدى التجارة والاقتصاد.

فقد ظهرت آثار هذه العلاقة بين هذين الأخيرين و تجسدت في سلوك و ملبس تجار بلاد السودان و على سبيل المثال لدينا أهل كوكو) يلبسون الجبب والأكسية وعلى رؤوسهم الكرازي[2]، والتجار الإباضيون لم يحملوا معهم فقط هذه الآثار الحضارية بل تعدت حتى إلى نشر الإسلام وما يؤكد هذا هو وصول علي ابن أبي يخلف* إلى المالي.

سافر علي بن أبي يخلف إلى غانه سنة 575هـ ولما وصل إلى مملكة مالي الوثنية أحسن إليه ملكها لما راءه من صفات فضيلة، وصادف فترة زيارة علي بن يخلف إلى هذه المملكة جفاف رغم إصراف أهل المملكة بتقديم القرابين إلى الهتهم لفك اللعنة عليهم[3]، رأى ملك مالي أن لا فائدة من الدعاء إلى الهتهم فطلب من علي بن أبي يخلف الدعاء و طلب من إلهه بدفع البلاء فقال له لو أمنت بإلهي تعالى وأقررت بوحدانيته وأقمت الشهادة ذهب الله ببلاء عنك فأسلم الملك الله تعالى[4]، وعلمه على بن يخلف ما تيسر له من فرائض وسنن فأخذ الليلة كاملة في الصلاة و التضرع لله تعالى حتى بعد صلاة الصبح أنعم عليهم الله بأمطار غزيرة وحلت البركات[5].

كان لهذه الحادثة دور كبير في نشر الإسلام فقد أسلم ملك مالي حسن إسلامه كما أنه دعا أهل بيته ورعيته فأجبوه كما أنه حكم أن لا يدخل الإسلام إلا المسلمين وأسمي نفسه بالمسلماني[6].

---

[1] . نور الدين شعباني علاقات ممالك السودان، مرجع سابق، ص 146.

[2] . محمد عيسى الحريري، البناء السياسي للمغرب الإسلامي لبدولة الرسمية، دار العلم، ط2، الكويت، ص212 .

* . هو علي ابن أبي يخلف ابن الشيخ يخلف ابن يخلف أبوه علامة و نسابة، عرف عن علي بالعلم و الفصاحة و الثقة في أمور الدين، أنظر نور الدين شعباني: علاقات الممالك ..... مرجع سابق، ص 148

[3] . الدرجيني، نفس المصدر السابق، ص 517

[4] . ابو عبيد الله البكري، مصدر سابق، ص 876

[5] . الدرجيني نفس المصدر السابق ص 518

[6] . نور الدين شعباني علاقات ممالك. مرجع سابق، ص 148

لقد ساهم حكام الدولة الرستمية وفقهائها في نشر الإسلام في السودان الغربي و تأثيرهم في سكان هذه المناطق فصاحب إنتشار الإسلام إنتشار اللغة العربية إذ كان منهم من يجيد اللغة العربية إلى جانب لغتهم الخاصة[1]، فيما يخص مسألة إنتشار الإسلام فقد ساهم وجود الجماعات الإباضية بالسودان الغربي في إعتناق الكثير من مسلمي السودان المذهب الإباضي وما يؤكد هذا هو زيارة ابن بطوطة لإمبراطورية المالي حيث وجد بها قرية صغيرة يسكنها مجموعة من البيضان يدينون المذهب الإباضي يسمون صغنغو مع سكان سودانيون يعرفون يعرفون بتجار الونغارا[2].

[1] . صلاح الدين منجد تنفس المرجع السابق، ص 62

[2] .ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأنصار، تح :عبد الهاي التازي، اكادمية المملكة المغربية، دط، الرباط، ج4، 1997، ص679

المبحث الثاني: المذهب المالكي ودور فقهائه في ترسيخ الإسلام

المطلب الأول: تعريف المذهب المالكي وانتشاره في ممالك السودان

1. تعريف المذهب المالكي: هو أحد المذاهب الإسلامية السنية الأربعة والذي يتبنى الآراء الفقهية للإمام مالك بن أنس، أهم مصنفاته كتاب الموطأ[1].

فيعتبر الإمام مالك من أعظم أئمة المذاهب المتبعة في العالم الإسلامي، وإليه تنسب المالكية، وهو نادرة الزمان وأعجوبة الدنيا، وقد أجمع أئمة عصره على الاعتراف بمكانته التي لا تدانى، حتى قال الإمام الشافعي رحمه الله: "وإذا ذكر العلماء فمالك النجم"، ويقول الإمام الأوزاعي رحمه الله: "مالك عالم العلماء، وعالم أهل المدينة ومفتي الحرمين". ويعد فقه الإمام مالك فقه الصحابة والتابعين، ولهذا وجد مذهبه قبولا منقطع النظير في الغرب الإسلامي.

وتعتبر منطقة السودان الغربي من أهم مناطق الغرب الإسلامي التي وجد فيها المذهب المالكي قبولا خاصا لدى العامة والخاصة بفضل جهود علمائها في خدمته ونشره .ولهذا ارتأيت أن يكون موضوع هذا المقال: "دور العلماء الأفارقة في خدمة المذهب المالكي ونشره."

والهدف من هذا البحث هو إبراز دور علماء السودان الغربي في خدمة المذهب المالكي ونشره وترسيخه في المجتمع السوداني الغربي، حتى أصبح المذهب الفقهي المفضل بين سائر المذاهب الفقهية السائدة في العالم الإسلامي.

يعتبر مذهب الإمام مالك –رحمه الله– من أهم المذاهب الفقهية التي حظيت بقبول العامة والخاصة في السودان الغربي، لما يتمتع به من خصائص ومميزات فريدة لا تتوفر في غيره، وقد أخذ ينتشر منذ أواسط القرن الثاني الهجري في العالم الإسلامي عامة والغرب الإسلامي خاصة، واستمر في الانتشار بعد القرن الثاني الهجري إلى أن وصل إلى السودان الغربي مع منتصف القرن الخامس الهجري بسيطرة المرابطين على المنطقة، وتوطدت أركانه ودعائمه فيها، وبذلك "غلب مذهب مالك على الحجاز والمغرب الأقصى إلى بلاد من أسلم من السودان..."[2]

وبذلك يمكن القول: إن المذهب المالكي وصل إلى السودان الغربي منذ فترة طويلة، وإن تاريخ دخوله للمنطقة يرجع إلى القرن الخامس الهجري، لأن في هذا القرن وصل المرابطون –الذين انتصروا

[1] . احسان العقلة، المذهب المالكي، ساعة: 18:39 31 ماي 2022.

[2] . قاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب المالك، ط2، 1983،، ج1 ص:65.

للمذهب المالكي- إلى الحكم. وكان ذلك أهم حدث تاريخي لانتصار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي.

فمنذ هذا التاريخ والمذهب المالكي في انتشار مستمر، وأصبح المذهب الرسمي للدولة المرابطية، وبات الغرب الإسلامي بما فيه السودان الغربي المعقل الرئيسي له، حتى قال ابن خلدون: "... وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا القليل...."[1]

وهكذا أصبح القرن الخامس الهجري، القرن الذي أضحى فيه المذهب المالكي مذهبا سائدا في الغرب الإسلامي، ولم يزاحمه أي مذهب يستحق الذكر إلى يومنا هذا، فكثر أتباعه في العالم الإسلامي عامة وفي الغرب الإسلامي خاصة، وحظي بمساندة العامة والخاصة، وأضحى المذهب الذي لا يبغي عنه الناس بديلا.

وقد أدى هذا الأمر إلى أن يصبح المذهب المالكي، المذهب الرسمي للدول المتعاقبة في الغرب الإسلامي، منذ تلك الفترة إلى وقت قريب. فأصبح جميع الناس ملزمين باتباعه.

ومن الملوك الذين نوهوا بالمذهب المالكي، الحكم المستنصر[2] ملك الأندلس الذي قال: "نظرنا طويلا في أخبار الفقهاء وقرأنا ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا فلم نر مذهبا من المذاهب أسلم منه... فالاستمساك به نجاة إن شاء الله[3]...."

وهذا أسد بن الفرات يقول منتصرا للمذهب المالكي: "...إن أردت الله والدار الآخرة فعليك بمالك بن أنس[4]...."

على أن سيطرة المذهب المالكي في الغرب الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري تركت أثرا قويا في السودان الغربي، إذ أسهمت في توطيد أركان الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة، وتغلغلها في أعماق المجتمع.

---

[1] . ابن خلدون، مقدمة، تح، كاترمير، ط1، مج1، مكتبة لبنان، 1858. ص:356.

[2] . الحكم المستنصر: هو الخليفة الذي حكم الأندلس من سنة 350هـ إلى سنة 366هـ. ويعد هذا الخليفة أعظم خلفاء الأندلس علما وأدبا، ويعتبر كذلك رائد النهضة العلمية في الأندلس. وصفه المؤرخون بالاطلاع الغزير، والنظرة العميقة الفاحصة لما يقرؤه من كتب العلم. (يراجع: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، د. سعد عبد الله صالح، ص:72 –78

[3] . للقاضي عياض، ص:22.

[4] . نفسه، ص:77.

فمنذ أن وصل المذهب المالكي إلى السودان الغربي تشبث به العامة والخاصة وأصبح المذهب الفقهي الوحيد في هذه المنطقة، فلا مذهب إلا مذهب مالك ولا فقه إلا فقهه.

وهذا يعني أن السودان الغربي من أهم المناطق التي استقر بها المذهب المالكي دون أن يزاحمه مذهب آخر يستحق الذكر.

2. **عوامل انتشار المذهب المالكي في السودان الغربي:** إن أسباب انتشار المذهب المالكي في السودان الغربي، وقبول العامة والخاصة له يرجع إلى عدة عوامل منها:

- أن المرابطين الذين حملوا لواء الإسلام إلى المنطقة، وقاموا بتصحيح مفاهيمه لدى المجتمع السوداني انتصروا للمذهب المالكي، وبذلك أصبح المذهب الرسمي لهم، وكان من الطبيعي أن يتبعهم السودانيون في مذهبهم.
- أن المغرب الذي يرجع إليه الفضل في انتشار الإسلام وثقافته العربية في المنطقة، عد "القلعة الأمامية" للمذهب المالكي، فلا غرو أن يكون من أولوياتها تثبيت المذهب المالكي في السودان الغربي وغيره.
- ما روي عن النبي ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الإِبِلِ يَطْلُبُونَ العِلْمَ فَلَا يَجِدُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ المَدِينَةِ [1] «فأُوّل هذا الحديث بأنه يقصد الإمام مالكا، وازداد هذا الأمر رسوخا عند أتباع المذهب، ما ورد من ثناء العلماء على مالك وشهادتهم له بالعلم والتقوى والورع.
- شهرة المدينة التي عاش فيها الإمام مالك علما ومكانة، إذ هي مهبط الوحي ومنبعه، ومهوى أفئدة المسلمين، وطلاب العلم عموما والمغاربة منهم بصفة خاصة.
- وهذا الأمر يؤكده ابن خلدون لما علل انتشار المذهب المالكي وانتصاره في الغرب الإسلامي بقوله: "... وأما مالك رحمه الله فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس وإن كان يوجد في غيرهم، إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل، لما أن رحلتهم كانت غالبا في الحجاز، وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم[2]"....

ويمكن اعتبار هذا العامل الأخير من أهم العوامل التي أسهمت في ترسيخ المذهب المالكي في السودان الغربي، لأن المجتمع السوداني خاصتهم وعامتهم يعتبرون أن كل ما جاء من المدينة المنورة من

[1] . سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في عالم المدينة.

[2] . ابن خلدون، مصدر السابق، ص:356.

أمور دينية وفقهية هو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذا تعلقوا بالمذهب المالكي وتشبثوا به ولم يبغوا عنه بديلا.

ولا شك أن هذه الفكرة التي ترسخت في أذهان المجتمع السوداني فكرة صحيحة إلى حد ما، لأن الأصل أن يقدم ما جاء من مدينة الرسول على غيره، إذ أهلها أدرى بسنة رسول الله ﷺ، ولهذا ينبغي أن يقتدى بهم إذا ثبت أن ما يعملون به عمل جماعة عن جماعة.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى هذا الأمر لما تحدث عن مذهب أهل المدينة وفضله. ومما قال فيه: "... مذهبهم في زمن الصحابة والتابعين، وتابعيهم أصح مذاهب أهل المدائن شرقا وغربا في الأصول والفروع"[1] . وقوله أيضا: "... ثم إن من تدبر أصول الإسلام وقواعد الشريعة وجد أصول مالك وأهل المدينة أصح الأصول والقواعد"[2]...

إذاً فلا غرو أن يتشبث المجتمع السوداني بالمذهب المالكي، وحق لهم ذلك، إذ إن أصوله وقواعده أصح الأصول والقواعد، كما صرح به شيخ الإسلام ابن تيمية وهو أحد أقطاب المذهب الحنبلي.

- أن اختيار المجتمع السوداني لهذا المذهب يرجع إلى أنه وجد في قواعده ومبادئه ما يشبع رغبته ويلبي حاجاته، فلا غرو من ذلك فإن من خصوصيات المذهب المالكي ارتباطه بالبيئة واعتداده بالواقع الاجتماعي للأمة.
- دور الملوك السودانيين الذين حرصوا على التمسك بالمذهب المالكي وتحكيمه في كل القضايا اليومية من خلال جلب الفقهاء المالكيين واستفتائهم في كل ما استجد من الحوادث والمسائل.
- فهذا منسا موسى سلطان من سلاطين السودان الغربي العظيم كان حريصا على جلب العلماء من المشرق والمغرب، وقد أثر عنه قوله – لما كان يذهب إلى الحج وزار السلطان الناصر بن مُحَمَّد قلاوون–: "إننا مالكيو المذهب، ولا نسجد لغير الله، لأننا مسلمون[3]."..
- وهذا الملك منسا سليمان المتحمس للثقافة العربية الإسلامية والمتشبث بالمذهب المالكي وثقافته لما تولى السلطة "بنى المساجد والجوامع والمنارات وأقام بها الجمع والجماعات والأذان وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك، ﷺ، وتفقه في الدين"

[1] . مجموع فتاوى ابن تيمية، مج 20، ص:294.

[2] . نفس المرجع، ص:328.

[3] . ماما هاسي تنابو، العلاقة بين دولة مالي وبين المغرب الأقصى من خلال المذهب المالكي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية، ص:211.

- وهكذا أسهم هذا الملك العظيم في ترسيخ المذهب المالكي في المجتمع من خلال جلب فقهاء المالكيين والكتب المالكية[1].
- ارتباط العلماء الأفارقة بالمذهب المالكي وتحكيم فقهه في كل القضايا المستجدة في الحياة اليومية، ونبذ المذاهب الأخرى، جعل المجتمع السوداني لا يرتاح ولا يطمئن إلا لهذا المذهب، الأمر الذي أسهم في نشر المذهب المالكي في السودان الغربي.
- التزام السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية بالمذهب المالكي في كل الأحكام جعله مذهبا رسميا في السودان الغربي، مما ساعد على نشره.

هذه بعض العوامل التي تظهر لنا أنها أسهمت في ترسيخ المذهب المالكي وتألق نجمه في سماء السودان الغربي منذ القرن الخامس الهجري إلى يومنا هذا، تتوارثه الأجيال جيلا عن جيل. وعلى ضوئه يتفقه الفقهاء، ويقضي القضاة ويحكم الحكام طبقات عن طبقات إلى وقت قريب.

وصفوة القول: إن المذهب المالكي دخل السودان الغربي منذ القرن الخامس الهجري، وأصبح من أهم المناطق في الغرب الإسلامي التي ساد فيها سيادة مطلقة دون منافس يستحق الذكر، وأمضى بذلك من أكثر المناطق انغلاقا عليه، وبعدا عن المذاهب الأخرى.

إن المذهب المالكي في السودان الغربي يمثل المدرسة التربوية الوحيدة التي تكوّن منها العلماء والأساتذة والقضاة والحكام ورجال الدعوة والإرشاد في غرب إفريقيا، ولهذا كل واحد منهم يسترشد في حياته الدينية والدنيوية بقدوة مذهب الإمام مالك في العقيدة والمذهب والسلوك، حيث وقر في نفوس المجتمع السوداني وإحساسهم أن المالكية عنصر من عناصر الكيان الشخصي لهم.

وهكذا أصبح المجتمع السوداني لا يعرف مذهبا إلا مذهب مالك، ولا يدرسون فقها إلا فقه الإمام مالك، الأمر الذي جعل العلماء يجتهدون في خدمته ونشره وتطويره.

ويتجلى دور علماء السودان الغربي في خدمة المذهب المالكي ونشره في المنطقة من خلال عدة جوانب منها: التدريس والفتيا، والقضاء والإمامة، والخطابة والتأليف، والرحلات العلمية.

أ- التدريس

إن علماء منطقة السودان الغربي كانوا على دراية كبيرة بمكانة الاستزادة في العلم والتعمق في الفقه، وتعليم الناس أمور الدين، للنصوص الواردة في ذلك، منها: قوله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا

[1] . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعمري، ص:59 – 60.

يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ[1] .«وقوله ﷺ: «نعمت الغبطة، ونعمت الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة[2].»

ونظرا إلى هذين النصين وغيرهما من النصوص التي تحث على طلب العلم وتعليم الناس أمور الدين، فقد اجتهد علماء السودان في طلب العلم، وحرصوا على أن يتعمقوا في الفقه المالكي، فاستوعبوه ودرسوا أصوله وفروعه واستظهروا متونه المطولة والمختصرة.

وبعدما استوعبوا الفقه المالكي قاموا بتدريسه في كل المراحل الدراسية، وبذلك أسهموا في خدمة المذهب المالكي ونشره وترسيخه في المجتمع السوداني عن طريق التدريس، كما قاموا بمسؤوليتهم تجاه المجتمع من حيث تعليمهم وتدريسهم مما علمهم الله من العلم، وللتأكد على دور العلماء في خدمة المذهب المالكي ونشره عن طريق التدريس نلقي نظرة سريعة على كتب الدراسة في الحلقات العلمية بالسودان الغربي، ومن هذه الكتب الفقهية المعتمدة في مجالس التدريس:

- **الموطأ للإمام مالك بن أنس** رضي الله عنه: يعد الموطأ من أوائل كتب الحديث، تناقلته الأجيال منذ تأليفه إلى الآن. ألفه مالك بأمر من الخليفة أبي جعفر المنصور، ومكث في تأليفه أربعين سنة يهذبه وينقحه[3] ، وقال عنه الدهلوي: «من تتبع المذاهب ورزق الإنصاف علم لا محالة أن الموطأ عدة مذهب مالك وأساسه، وعمدة مذهب الشافعي وأحمد ورأسه، ومصباح مذهب أبي حنيفة وصاحبيه ونبراسه، وهذه المذاهب بالنسبة للموطأ كالشروح للمتون وهو منها بمنزلة الدوحة من الغصون.
- **مدونة سحنون (المتوفى سنة 240هـ)** تعتبر مدونة سحنون أقدم كتاب وصل إلينا في المذهب المالكي بعد الموطأ، وتعد ثمرة جهود ثلاثة من الأئمة: مالك بإجاباته، وابن القاسم بقياساته وزياداته، وسحنون بتهذيبه وتنقيحه وتبويبه وبعض إضافاته. وهي أصل المذهب المالكي وعمدة الفقهاء في القضاء والإفتاء بعد الموطأ في الفقه المالكي، وإليها كانوا يرجعون فيما أشكل عليهم من المذهب.

[1] . صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» / صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة.

[2] . جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، باب تفضيل العلم على العبادة، ج1 ص:22.

[3] . عمر جيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، 1993ص:53 – 60.

- **التهذيب للبرادعي**: هذا الكتاب الفقهي عبارة عن تهذيب للمدونة والمختلطة، وقد تم تصنيفه سنة 372هـ/983م من طرف أبي سعيد خلف بن القاسم البرادعي.
- وكان من الكتب المعتمدة في الفتوى عند المالكية، وظل مقررا في الدراسات الفقهية خلال أربعة قرون قبل أن يزحزحه مختصر ابن الحاجب[1].
- **الرسالة لابن أبي زيد**: من الكتب أو المختصرات الفقهية التي حظيت باهتمام العلماء في غرب إفريقية في الحلقات العلمية رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ألفها صاحبها لتكون كتابا تعليميا للولدان، فانتشرت في سائر بلاد المسلمين، وتنافس الناس في اقتنائها حتى كتبت بالذهب.
- **النوادر والزيادات**: ومن الكتب الفقهية التي كانت تتداول في المجالس العلمية في السودان الغربي: كتاب النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني إمام المالكية في عصره، المتوفى سنة 386هـ.
- ويعتبر ابن أبي زيد من أبرز وجوه المالكية في زمنه، وجامع مذهب مالك وشارح أقواله. وقد استوعب مؤلفه هذا فروع الفقه المالكي. ومن ميزة هذا الكتاب أنه احتفظ بكثير من النصوص المأخوذة من الأمهات التي في حكم الضياع مثل الواضحة والموازية والمجموعة....
- **مختصر خليل**: يعتبر مختصر الشيخ خليل بن إسحاق بن موسى، المعروف بالجندي، ضياء الدين أبي المودة، حامل لواء مذهب مالك في زمنه بمصر، من أهم المختصرات التي حظيت باهتمام العلماء في الغرب الإسلامي فوضعوا عليه شروحا وحواشي وتعليقات وتقريرات تعد بالمئات.
- ولأهمية هذا الكتاب في المذهب المالكي في القرون المتأخرة «كان المالكية يشترطون في المفتي أن يختم المختصر الخليلي مرة في السنة، بل إن بعضهم اشترط أن يختمه مرتين.[2]
- ومن الكتب الفقهية المعتمدة في الحلقات العلمية أيضا: الجامع لابن يونس، والتمهيد والاستذكار والتبصرة للخمي، والبيان والتحصيل، ومختصر ابن الحاجب، والمختصر في الفقه المالكي، والتوضيح لخليل، وأحكام البرزلي، والمعيار المعرب للونشريسي، والمنتقى للباجي، وتحفة الحكام لابن عاصم وشرح ولده عليها، والقرطبية في الفقه، والمدخل لابن الحاج، والمرشد المعين لابن عاشر، ولامية الزقاق، والمنهج المنتخب في قواعد المذهب للزقاق، وشرح أبي الحسن الصغير على المدونة، ومنظومة الزكاة لمحمدبن العربي الفاسي، ونوازل عبد القادر الفاسي، ونظم العمل للفاسي وشرحه لولده، ومختصر الأخضري، وتبصرة الحكام لابن فرحون، والأحكام لابن سلمون، والجواهر الثمينة

[1] . عمر جيدي، مصدر السابق، ص:78 و97.

[2] مهدي رزق الله، مرجع السابق، ص98.

لابن شاس، والتفريع للجلاب، ومواهب الجليل للحطاب، وشرح اللقاني على المختصر، وحاشية أحمد بابا على المختصر، وشرح المختصر للأجهوري، وشرح المختصر للتتائي، وشرح المختصر للسنهوري، والتنبيهات للقاضي عياض، والتلقين للقاضي عبد الوهاب، وأحكام البرزلي، والنهاية والتمام للمتيطي، والقوانين الفقهية لابن جزي...

هذه بعض الكتب الفقهية التي كانت لها الصدارة في الحلقات العلمية بالسودان الغربي على مر العصور[1]. ولا شك أن هذه الكتب الفقهية المعتمدة في الحلقات العلمية في المنطقة تبين وتؤكد على تمسك العلماء الأفارقة في السودان الغربي بكتب الفقه المالكي والتركيز عليها، الأمر الذي يظهر دورهم في نشر المذهب المالكي وترسيخه في مجتمع غرب إفريقيا، ومدى ارتباطهم وتمسكهم به.

ب- الفتوى

إن الفتوى من الأمور الجسيمة في الشريعة الإسلامية لأهميتها وخطورتها في نفس الوقت، لهذا تولى الله سبحانه وتعالى أمرها بنفسه في محكم تنزيله وتولاها رسول الله ﷺ، ثم الصحابة ومن جاء بعدهم من أهل العلم .ولخطورتها كان الصحابة، رضوان الله عليهم، يتدافعونها فيما بينهم، وليس فيهم أحد "يستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا[2]".

ونظرا لهذه الأهمية البالغة، أحاطها العلماء بسياج من الرعاية، لأن عليها تتوقف مصالح الناس، وبها يهتدون في شؤون دينهم ودنياهم. ولذا قيل: "الفتيا توقيع عن الله تبارك وتعالى"[3].

وقال ابن القيم في بيان ما ينبغي أن يتحلى به من تصدى لهذا الأمر: "... فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعد له عدته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر هذا المقام الذي أقيم فيه ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به، فإن الله ناصره وهاديه، وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب... وكفى بما تولاه الله تعالى بنفسه شرفا وجلالة إذ يقول في كتابه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ...﴾[4]، وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه وليوقن أنه مسؤول غدا وموقوف بين يدي الله...

---

[1] . ابي عبدالله البرتلي الولاتي :الفتح الشكور معرفة اعيان علماء التكرور، تح :محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ط1، ص11

[2] . ابي زكريا النووي، المجموع شرح المهذب للشرازي، تح: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الارشاد، جدة، ط1، ج1، ص:40.

[3] . ابن الصلاح الشهزوري، ادب المفتي والمستفتي، تح:موفق عبدالله عبدالقادر، ط1، مكتبت العلوم والحكم، المدينة المنورة، ج1، ص:7.

[4] . سورة النساء، الآية:176.

ولا شك أن هذه المكانة التي تحظى بها الفتوى في الشريعة الإسلامية هي التي جعلت العلماء يشترطون فيمن يتقلد هذا المنصب شروطا، حتى لا يتعاطاه، أو يصل إليه من لا يستحقه.

وعرفت الفتوى بأنها: "إخبار بحكم شرعي من غير إلزام[1]"، وعرف المفتي بأنه: "هو المستقل بأحكام الشرع نصا واستنباطا"[2]، وقيل أيضا هو: "المخبر بحكم شرعي في المسألة المسؤول عنها لا على وجه الإلزام".[3]

وهذا يعني أن قول المفتي ليس ملزما على المستفتي، بل هو فقيه نفسه إن أراد أخذ به، وإلا تحول إلى مفت آخر لينظر له في المسألة.

وفي كل الحالات فالمستفتي ليس مجبرا على اتباع ما أفتى به المفتي لكن الورع يتطلب منه أن يتبع ما بيّن له المفتي من أحكام الله تعالى في القضية المسؤول عنها، إذ هو قائم مقام الأنبياء، ومن كان هذا شأنه ينبغي أن يتبع كلامه، ويشد عليه اليدين، وإن كان ليس لازما.

وقد حرص علماء السودان الغربي أن يتقيدوا بالمذهب المالكي في القضايا التي كانت ترفع إليهم، وبذلك أسهموا في نشر المذهب المالكي في السودان الغربي وخدمته، حيث برهنوا –عن طريق الفتوى– على أنهم قادرون على مواجهة المستجدات والمشكلات الواقعة والمتوقعة، وأعطوا بذلك الحلول للنوازل والقضايا التي لم يرد فيها نص، وأثبتوا بذلك قدرتهم على مسايرة التطور البشري والزماني، وهكذا أسهموا في خدمة الفقه المالكي ونشره، وبينوا أنه فقه قابل للتطور، لمرونته واستيعابه لكل ما يجد في ساحة المعاملات.

وإلقاء نظرة سريعة على الكتب المعتمدة في الفتوى تبين مدى تمسكهم بالمذهب المالكي والحرص على عدم الشذوذ عما عليه علماء المذهب في الكتب المعتمدة في الفتوى. ومن أهم الكتب المعتمدة في الفتوى ما يلي: الموطأ للإمام مالك، المدونة الكبرى برواية سحنون عن ابن القاسم، الواضحة لعبد الملك بن حبيب، العتبية وتسمى المستخرجة برواية مُحَمَّد العتبي، الموازية لابن المواز، المجموعة لابن عبدوس، التهذيب في اختصار المدونة للبرادعي، النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني، الرسالة للقيرواني أيضا، جامع ابن يونس،التبصرة للخمي، التلقين للقاضي عبد الوهاب،

[1] . عمر جيدي، المرجع السابق، ص:128.

[2] .ابي حامد الغزالي المنخول تعليقات الأصول، تح:مُحَمَّد حسن هيتو، دار الفكر المعاصر، ط3، بيروت1998، ص:463.

[3] . مُحَمَّد رياض، أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي، ط1، 1996دار الكلمة للنشر وتوزيع.، ص:248.

شرح التلقين للمازري، التفريع للجلاب، المقدمات لابن رشد، البيان والتحصيل له أيضا، تبصرة الحكام لابن فرحون.

إن من ألقى نظرة فاحصة على هذه الكتب المعتمدة في الفتوى، يتجلى له دور علماء السودان في خدمة المذهب المالكي ونشره، وحرصهم الشديد على التمسك به وترسيخه، وجعله المذهب المفضل لدى الأفارقة، من خلال البحث عن الحلول المناسبة للحوادث التي ترفع إليهم، وليس فيها نص صريح أو ضمني -في إطار المذهب المالكي-، فيقيسون النظير على النظير، ويلحقون الفروع بالأصول، ويعملون فكرهم في النصوص من أجل التوصل إلى الحكم المناسب للمجتمع.

ج- القضاء

يعتبر منصب القضاء منصبا عظيما وجسيما، إذ هو وظيفة الأنبياء والخلفاء والعلماء، قال الله تعالى لنبيه داود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

وعرف القضاء بأنه: "فصل الخصومات وقطع المنازعات[1] "، وهو أمر مطلوب في الإسلام، لقوله تعالى مخاطباً رَسوله ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ﴾[2].

ولقول النبي صلّى الله عليه وسلم: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ.وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ[3]»

ونظرا إلى أهمية خطة القضاء في الإسلام فإن علماء السودان الغربي اهتموا بها كثيرا، لفض الخصومات والمنازعات التي تجري بين الناس، وتوفير مصالحهم، ورعاية حقوقهم، ومنع الظلم، ومحاربة الأهواء[4]

وتولاها أعدلهم وأبلوا فيها بلاء حسنا، حيث تحدثنا كتب التاريخ عن كثير منهم قاموا بأداء هذا الواجب خير أداء.

---

[1] . وهبة الزحلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، ط2،، ج8، ص:348.

[2] . سورة النساء، الآية105.

[3] . صحيح البخاري، ج6، ص:2676، حديث رقم:6919، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ صحيح مسلم، ج5، ص:131، حديث رقم:4584، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، كتاب الأقضية.

[4] . وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص:349.

وهذا أحمد بابا التنبكتي يحدث عن أحد أفراد أسرته الفقيه محمود بن عمر بن مُحَّد أقيت، الذي تولى القضاء في السودان فيقول عنه: أنه لما ولي القضاء بمدينة تنبكت عام 904 هجرية "شدد في الأمور وسدد وتوخى الحق في الأحكام، ولذوي الباطل هدد، فظهر عدله بحيث لا يعرف له نظير في وقته"[1]...

وقد أسهم علماء السودان عن طريق القضاء في نشر المذهب المالكي وخدمته حيث ظلوا متمسكين بكتب المذهب المالكي في أحكامهم ولا يبغون عنها بديلا، وبذلك كان لهم دور كبير في ترسيخ المذهب المالكي في المجتمع وخدمته من خلال الاجتهاد في بعض المسائل التي لم يجدوا لها نصا في إطار المذهب المالكي.

د- الإمامة

يعتبر منصب الإمامة من أهم المناصب التي تولاها علماء السودان الغربي. ومهمة الإمام هي إمامة المصلين في المسجد يوميا، وفي المناسبات الدينية والأسبوعية والسنوية.

ويعتبر هذا المنصب مفتاح باب الولوج إلى سلك القضاء، لأنه لا يسند القضاء إلى أي عالم إلا بعدما يتولى الإمامة ويقضي فيها عدة سنوات.

ولا يتم إسناد الإمامة إلى أي عالم إلا باتفاق أهل المدينة أو البلدة وبموافقة القاضي، ويكون مالكيا، وبذلك خدم علماء السودان الغربي المذهب المالكي من خلال هذه الخطة.

وتعد الإمامة من الوظائف التي تكون شبه وراثية في بعض الأسر العلمية المشهورة في السودان الغربي كأسرة أقيت واندغ وكعت وكورد ومغيا... ولذا نجد أغلب الأئمة في السودان من هذه الأسر العلمية المشهورة بالعلم والصلاح[2].

[1] . تمبكتي احمد بابا، المصدر السابق، ص:607.

[2] . ومن أراد أن يقف على أسماء بعض العلماء الذين تولوا هذا المنصب في مختلف العصور بالسودان الغربي فليرجع إلى السعدي الذي خصص أبوابا في كتابه "تاريخ السودان" لأئمة تنبكت وجنى منذ عهد الماليين إلى عهد الباشوات، وصاحب تذكرة النسيان الذي خصص فصولا للقضاة والأئمة في عهد الباشاوات، وبابير الأرواني الذي خصص فصولا لبعض أئمة وقضاة السودان. مُحَّد أبو زهرة: الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي، ص:221 – 222.

هـ- الخطابة

الخطابة منصب خطير ومرتقى صعب المنال، لا يصل إليه طالبه إلا بعد صبر ومعاناة ويحتاج مبتغيه إلى زاد عظيم، وهي من الوسائل التي استطاع بها العلماء الأفارقة خدمة المذهب المالكي.

«والخطابة مصدر خَطُب يخطب أي صار خطيبا، وهي على هذا صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السامعين وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم[1]...» ، والخطابة لها أهمية كبيرة، لأنها «تفض المشاكل وتقطع الخصومات، وتهدئ النفوس الثائرة وتثير حماسة ذوي النفوس الفاترة، وترفع الحق وتخفض الباطل، وتقيم العدل وترد المظالم، وهي صوت المظلومين ولسان الهداية» [2].

ونظرا لمكانة الخطابة أو الخطباء في الوعظ الديني- الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي قامت الدعوة على أسسه، ومن ينبوعه تغذت النفوس البشرية غذاءها الروحي، ومن ضوئه اقتبست نورانيتها- فإن حكام السودان خصصوا هذه الوظيفة للعلماء العاملين الناصحين ليؤدوا دورهم في المجتمع الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من على المنابر كلما أتيحت لهم فرصة في المناسبات الدينية الأسبوعية والسنوية. ولا يتولى هذا المنصب – إلى وقت قريب – إلا من كان مالكيا، وبذلك أسهموا في خدمة المذهب المالكي ونشره في المنطقة

3. **المذهب المالكي بمملكة غانه:** كان انتشار الإسلام بمملكة غانه بفضل التجار والدعاة وكان أكثرهم مغاربة، وكانوا على المذهب المالكي، وتعتبر قوافل التجار المسلمين من بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي، من أهم العوامل التي ساعدت على نشر المذهب المالكي في تلك البلاد، فكان ضمن هذه القوافل الدعاة والفقهاء والعلماء الذين ينشرون الدعوة الإسلامية، فمملكة غانه كانت ثرية لذلك استقطبت التجار المسلمين.

وقد كان الحكم القائم في غانه يتعلق بالتسامح، مما ساعد على انتشار الإسلام، والمذهب المالكي بين الأهالي، حيث أن هناك جماعه من المسلمين تقلدوا مناصب عليا في القصر الملكي، فكانت هناك عادات وتقاليد في المصلحة لا تتناسب مع المسلمين، إلا أن ملكها كان يعفيهم منها، وفي هذا يقول البكري: «.... فإذا دنا أهل دينه منه حثوا على ركبهم ونشروا التراب على رؤوسهم

[1] . الخطابة :أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب: أبو زهرة، ص:19، طبعة دار الفكر العربي. ولسان العرب حرف الباء فصل الخاء. ج1، ص:361.

[2] . يراجع: الخطابة أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، ص:21.

فتلك تحيتهم له أما المسلمون فإنما سلامهم عليه تصفيق باليدين»، كما ساهمت دولة المرابطين، وبشكل كبير بفضل جهادها في المنطقة على نشر ودعم المذهب المالكي في غانه في أواخر القرن 5هـ/11م، ومن أجل تأكيد الارتباط القائم لهذه المملكة بمذهب السنة المالكي، أعلن ملك غانه شيعيته الخلافة السنية، كما أنه أدعى النسب العلوي، ليدعم نفوذه وحكمه في بلاده [1].

وهكذا حظي المسلمون بالإيثار في غانه في عهد ملكها، فكان الملك الغاني يقرب المغاربة إليه ويعتمد في تنظيم أجهزة الدولية والتنظيم، وكان معظم وزرائه وتراجمه على المذهب المالكي.

4. **المذهب المالكي في مملكة مالي:** إن اعتناق مالك مالي الإسلام أطلقوا عليه تسمية المسلماني، وقلدوه خلفاؤه من بعده وهكذا كان حكام مالي على المذهب المالكي، وكانت طريقة دعوته إلى الإسلام هي سبب دعم وتأثير في أسلوب الدعوة وكان ذلك في منتصف القرن 5هـ/11هـ، حيث استقر الإسلام وانتشر في السودان الغربي على أساس المذهب المالكي، مما أدى إلى استقطاب شخصيات التي تأثرت بدخول الإسلام[2].

بالإضافة إلى جهود حكام تلك الدول هي التي دعمت وساندت المذهب المالكي في الذيوع والانتشار حيث كانت مساحة مالي في عهد الملك ماري جاطة واسعة وزاد شهرتها وكثرت ثرواتها مما كان له أثر في استقطاب الكثير في مقدمتهم فقهاء المالكية.

وكذلك في عهد منسى موسى اشتهرت مالي وتعددت ثرواتها ومواردها ومراكزها التجارية بالإضافة إلى المراكز الثقافية، حيث عمل منسى موسى على استقطاب الفقهاء إلى بلاده، وشجعهم مما ساهم ذلك في انتشار المذهب المالكي[3]. حيث نجد من أهم هؤلاء الفقهاء عبد الرحمان التميمي وكذلك أندغم مُحَمَّد الكبير[4]، وعبد الله البلبالي[5]، الذي استقر بتنبكت وقرأ عليه العديد من الطلاب، وهكذا سهم منسى موسى في انتشار المذهب المالكي بفضل ما نقله من مؤلفات وشروح لكبار فقهاء المالكية حيث عرفت مالي في عهده دخول كتب كبر الفقهاء المالكية.

---

1 . حسين سيد عبد الله مراد، الصلاة بين بلاد المغرب والسودان الغربي(2_6هـ/8_12م)، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، مصر، 19 افريل 2015، ص 402.

2 . إبراهيم طر خان دولة مالي الإسلامية، ص 43

3 . ابن خلدون المصدر السابق، ج 6 ص 185.

4 . هو أبو عبد الله أندغم بن مُحَمَّد بن عثمان بن مُحَمَّد بن نوح معدن العلم والصلاح، فهو عالم جليل قاضي المسلمين أخذ عنه أبناء العلم وأصبحوا شيوخ العلم والصلاح، ينظر السعدي، مصدر سابق، ص 28.

5 . هو جد السعدي وهو أول البيضان صلى بالناس في المسجد، ثم توجه إلى تنبكت رفقة الفقيه الإمام القاضي كاتب منسى موسى ثم رجع إلى فاس وخلفه في الإمامة، ينظر البرتلي: فتح الشكور في معرفة عيان التكرور، ص 150.

حيث ساهمت المساجد والفقهاء والخطباء في نشر المذهب المالكي بين السكان عن طريق الخطب على المنابر وكذلك دروس الوعظ بعد الصلاة، ما أدى تفقه الكثير من أبناء المجتمع في أمور دينهم حيث شاهد هذه الأمور ابن بطوطة عندما زار دولة مالي[1]. واللغة العربية أيضا كان لها صدى كبير ومساهمة فعالة في نشر المذهب المالكي وذيوعه في دولة مالي باعتبارها لغة الدين الإسلامي وأصبحت لغة رسمية ولغة التخاطب والتجار، حيث استخدمها سكان دولة مالي كلغة حية في مختلف مجالات حياتهم، حيث يقول ارنولد توماس بلغت اللغة العربية وهي لغة القرآن درجة عظيمة من الذيوع والانتشار حتى عدت لغة تخاطب بين القبائل نصف القارة السوداء .... وكانت الاتصالات بين المغرب والسودان قديمة حيث نجد من أبرز هذه الاتصالات العلمي والثقافية، حيث رحل عدد من الفقهاء من السودان الغربي إلى المغرب في عهد منسا موسى لطلب العلم ومن أبرزهم الفقيه عبد الرحمان التميمي المكي الذي ذهب إلى السودان مع منسا موسى أثناء عودته من الحج، ليدرس في تنبكت[2] ، ويذكر ابن بطوطة[3] أهم العلماء الذين التقى بهم وشاهدهم في بلاد المغرب من بينهم الفقيه ابن بداء، كما التقى أيضا بقاضي مدينة ولاتة الفقيه المغربي مُحَمَّد بن عبد الله بن بنومر، كما التقى بأخيه يحي وكان فقيها ومدرسا هناك، كما التقى بالفقيه إبراهيم بن إسحاق بالإضافة إلى الخطيب مُحَمَّد.

المطلب الثاني: الدعاة المالكية ودورهم في أسلمة الحكام

الدعاة المالكية:

الحكام والسلاطين: العديد من الحكام في السودان الغربي تبنوا الإسلام وأصبحوا يدينون بالمذهب المالكي، مما ساعد في تعزيز انتشار هذا المذهب بين شعوبهم. الحكام في دول مثل إمبراطورية مالي تحت حكم ملوك مثل مانسا موسى، شجعوا التعليم الديني المالكي وأنشأوا مدارس ومساجد تدرس فقه الإمام مالك.

المدارس والزوايا: تأسيس المدارس الدينية والزوايا كان له دور كبير في نشر تعاليم الإمام مالك. هذه المؤسسات التعليمية أصبحت مراكز لنشر المعرفة الدينية والفقه المالكي في المجتمعات المحلية.

[1] . ابن بطوطة المصدر السابق، ص 677، 678

[2] . السعدي: المصدر السابق، ص 57.

[3] . ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 661

الكتابة والنسخ: نسخ الكتب المالكية وانتشارها في السودان الغربي ساعد أيضًا في تعليم الناس المذهب المالكي وتعاليمه. الكتب المالكية مثل "الموطأ" كانت تنسخ وتدرس على نطاق واسع[1].

من خلال هذه الوسائل، أصبح المذهب المالكي هو المذهب السائد في معظم مناطق السودان الغربي مما ساعد في ترسيخ الإسلام ونشر تعاليمه بين شعوب المنطقة.

*** الامام مالك:**

الإمام مالك بن أنس (711-795م) كان أحد الأئمة الأربعة الكبار في الفقه الإسلامي ومؤسس المذهب المالكي. رغم أن الإمام مالك لم يسافر بنفسه إلى السودان الغربي والذي يشمل مناطق في غرب أفريقيا مثل مالي السنغال النيجر وغيرها(، إلا أن تعاليمه وأفكاره الفقهية انتشرت في تلك المنطقة بشكل واسع من خلال عدة طرق وأسباب.

التجار والعلماء: التجار المسلمون كانوا من العوامل الرئيسية في نشر الإسلام في السودان الغربي هؤلاء التجار، الذين كانوا يتبعون المذهب المالكي، نقلوا تعاليم الإمام مالك إلى تلك المناطق أثناء تعاملاتهم التجارية. بالإضافة إلى ذلك، بعض العلماء المالكيين سافروا إلى غرب أفريقيا لتعليم الناس ونشر الإسلام[2].

*** عبد الله بن ياسين:**

عبد الله بن ياسين كان شخصية محورية في تاريخ انتشار الإسلام في منطقة السودان الغربي، وخاصة في المغرب الأقصى ومناطق غرب أفريقيا. ولد في أوائل القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي)، وكان فقيها ومعلما ينتمي إلى مذهب الإمام مالك دور عبد الله بن ياسين يمكن تلخيصه في النقاط التالية[3]:

تأسيس الحركة المرابطية: عبد الله بن ياسين كان المؤسس الروحي للحركة المرابطية. هذه الحركة بدأت عندما انضم إلى مجموعة من البربر الصنهاجيين الذين كانوا يرغبون في الإصلاح الديني والاجتماعي. قام بتعليمهم أصول الإسلام والفقه المالكي، وشجعهم على

[1] . عبد الغني الدقر، مالك ابن أنس، دمشق، دار العلم، د ط، 1998م، ص168

[2] . أحمد بن محمد بونوة، الامام شيخ الإسلام مالك بن أنس، مقال منشور في شبكة الألوكة 1438هـ/2017م، ص 11.

[3] . عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب إفريقيا، تح: أبي بكر بن العربي، دار الغرب الاسلامي، 1121/1038، الرباط، ط1، ص 57.

الالتزام بالدين.

نشر التعاليم الإسلامية: عبد الله بن ياسين لم يكتف بتعليم أتباعه، بل أرسلهم أيضا لنشر الإسلام في مناطق واسعة من المغرب والسودان الغربي. هذا العمل أدى إلى انتشار الإسلام بين القبائل والمجتمعات التي لم تكن تعرف الإسلام من قبل أو كانت تمارس الإسلام بشكل صحيح .

الإصلاح الاجتماعي والديني: الحركة المرابطية تحت قيادة عبد الله بن ياسين سعت إلى إصلاح المجتمعات التي انضمت إليها من خلال تطبيق الشريعة الإسلامية ونبذ الممارسات غير الإسلامية. هذا الإصلاح شمل القضاء على البدع والعودة إلى تعاليم الإسلام الأصيلة.

تأسيس إمبراطورية المرابطين: بعد وفاة عبد الله بن ياسين استمر خلفاؤه في نشر الإسلام وبناء دولة قوية تحت قيادة يوسف بن تاشفين، أصبحت دولة المرابطين قوة إقليمية كبيرة تضم مناطق واسعة من المغرب والأندلس وجنوب الصحراء.

التأثير الثقافي والتعليمي

المرابطون قاموا ببناء مساجد ومدارس لنشر التعليم الديني. كما شجعوا على نسخ الكتب ويسر العلوم المرابطية تحت قيادة عبد الله بن ياسين سعت إلى إصلاح المجتمعات التي انضمت إليها من خلال تطبيق الشريعة الإسلامية ونبذ الممارسات غير الإسلامية. هذا الإصلاح شمل القضاء على البدع والعودة إلى تعاليم الإسلام الأصيلة.

تأسيس إمبراطورية المرابطين: بعد وفاة عبد الله بن ياسين، استمر خلفاؤه في نشر الإسلام وبناء دولة قوية تحت قيادة يوسف بن تاشفين، أصبحت دولة المرابطين قوة إقليمية كبيرة تضم مناطق واسعة من المغرب والأندلس وجنوب الصحراء[1].

*** أبو بكر بن عمر:**

أبو بكر بن عمر كان أحد القادة البارزين في الحركة المرابطية، ولعب دورًا كبيرًا في نشر الإسلام في السودان الغربي خلال القرن الحادي عشر الميلادي .دوره كان حيويًا في توسيع نطاق نفوذ المرابطين وتعزيز الإسلام في المنطقة .فيما يلي أبرز النقاط المتعلقة بدوره.

القيادة العسكرية والسياسية: بعد وفاة عبد الله بن ياسين تولى أبو بكر بن عمر قيادة الحركة المرابطية، ونجح في توسيع نفوذها. كان قائدا عسكريًا بارعًا، وقاد العديد من الحملات العسكرية التي ساهمت في نشر الإسلام وتعزيز السيطرة المرابطية في السودان الغربي والمناطق المجاورة.

[1] . عصمت عبد اللطيف، نفس المرجع السابق، ص 57.

تأسيس المدن وتوطين القبائل: أسس أبو بكر بن عمر العديد من المدن والمراكز الحضرية التي أصبحت مراكز لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية. كان يركز على توطين القبائل البدوية وتحويلها إلى مجتمعات مستقرة تسهم في نشر الإسلام[1].

التعليم والتوعية الدينية: أبو بكر ابن عمر لم يكن مجرد قائد عسكري بل كان مهتما بالتعليم والتوعية الدينية أسس العديد من المدارس والمساجد التي ساعدت في تعليم الناس تعاليم الاسلام وفق المذهب المالكي، مما ساعد في تعميق الفهم الديني لدى السكان المحليين.

التعامل مع القبائل المحلية: عمل ابو بكر بن عمر على كسب ولاء القبائل المحلية من خلال نشر العدل وتطبيق الشريعة الإسلامية. كان يبني علاقات قوية مع زعماء القبائل، مما سهل عملية نشر الإسلام بينهم وجعلهم شركاء في بناء الدولة المرابطية.

التركيز على السودان الغربي بعد تحقيق نجاحات كبيرة في المغرب والأندلس، ركز أبو بكر بن عمر جهوده على السودان الغربي قام بحملات عسكرية ودعوية في هذه المناطق مما أدى إلى انتشار الإسلام بشكل واسع وتعزيز حضور الدولة المرابطية.

النزاهة والتقوى الشخصية: أبو بكر بن عمر كان معروفًا بتقواه وزهده، مما أكسبه احتراما كبيرًا بين أتباعه وساعد في نشر تعاليم الإسلام بروح من الإخلاص والنزاهة.

أبو بكر بن عمر كان له دور حاسم في نشر الإسلام في السودان الغربي من خلال قيادته العسكرية توجيهاته التعليمية والدعوية، وبناء علاقات قوية مع القبائل المحلية تحت قيادته، توسعت الدولة المرابطية وأصبحت قوة إقليمية رئيسية ساهمت في تعزيز الإسلام في غرب أفريقيا[2].

لا شك بأن التعليم هو أساس كل نهضة ثقافية وعلمية، فهو الأداة الرئيسية للتوجيه الفكري، والإعداد التربوي، إذ به يتم ترسيخ المبادئ والأفكار في نفوس الناشئة وصقل سلوكات الأفراد، لهذا عمل الفقهاء على الحركة العلمية في بلاد السودان الغربي، ونلمس هذا الدور البارز بشكل واضح من خلال ما يأتي:

الجلوس للتعليم: اشتغل فقهاء المالكية بالتعليم من أجل إعداد العلماء والمعلمين والأئمة والخطباء، الذين يبثون في المسائل والقضايا الفقهية، ويقومون بالتوعية الدينية بين أفراد المجتمع[3] وكانت طرق ووسائل التعليم عندهم تعتمد على الأساليب الآتية:

---

[1] . عصمت عبد اللطيف، نفس المرجع، ص 93.

[2] . المرجع نفسه، ص 95.

3 . عبد الرحمان عثمان حجازي، الذهب التربوي عند ابن سحنون رائد التأليف التربوي، بيروت، المكتبة العصرية، ط2، 1995، ص 210.

السماع أو الإلقاء: وذلك بأن يتخذ العالم موضعا ما، وغالبا ما يكون في المسجد، وأمامه الطلبة فيلتقى عليهم الدروس، فيسمعون منه ويقومون بتقييد ما يرونه مناسبا للكتابة، ومن العلماء الذين برزوا في هذا المجال الفقيه الحاج احمد أقيت الذي اشتهر بالمداومة على تدريس مدونة الإمام سحنون[1]، ويبدو أن هذه الطريقة كانت هي الطريقة الاساسية الرائجة في ذلك العصر، وبواسطتها تم انتقال العلوم بين طبقات فقهاء المالكية.

قراءة الكتب: حرص فقهاء الماكية السودانيون على نسخ الكتب، وجلبها أثناء رحلاتهم إلى مختلف الأقطار الاسلامية، تم عرضها واستظهارها بعد عودتهم، ومن الكتب التي كانت متداولة "موطأ الامام مالك" و"مدونة الامام سحنون"[2] . كما اشتهر بعضهم بالتأليف وجمع الكتب وقراءتها على الطلبة، ومن أبرزهم أحمد بابا التنبكتي الذي ساهم في إثراء المكتبة العربية بمجموعة من الكتب والرسائل العلمية، وهي تدل على سعة مداركه وتحصيله العلمي ومعرفة بكتب التراجم والتاريخ والفقه، ونذكر منها على سبيل المثال: كتاب نيل الابتهاج بتطوير الديباج الذي ترجم فيه لعدد هائل من أعلام المالكية[3].

الحفظ: لقد اهتم الفقهاء والعلماء بالحفظ كوسيلة تعليمية خاصة في المراحل الابتدائية أو الإعدادية وهذا أمر طبيعي، لأنه أداة رئيسية لتثبيت الأسس التي عليها مدار التعليم حتى في المراحل المتقدمة من التعليم، ومما يؤكد ذلك هو اشتهار العديد منهم بقوة الحفظ، ومن أشهرهم في هذا المجال الإمام مُحَمَّد المنقوري الذي كان يحفظ كثيرا من الكتب والتي عليها مدار الإفتاء في المذهب المالكي[4].

المناظرة: تعد المناظرة من أشهر الأساليب التعليمية في العصر الوسيط، والتي عرفت أيضا باسم المذاكرة والجدال والنقاش، وهي أهم أساليب التدريس والتلقين، وذلك لما لها من دور في ترسيخ المعلومات وتمحيص الآراء المؤيدة والمعارضة للوصول إلى أصوب الآراء وأرجحها، وهي من أهم الوسائل التي أنتجها أهل الفرق والمذاهب للتعبير عن مبادئهم وأرائهم، وكان الفقهاء يناظرون حسب تخصصهم ومستوياتهم لذا فلا عجب أن فقهاء المالكية الذين أخذوا على عاتقهم مقاومة كل الفرق

1 . مطر سعيد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية واثرها في مجتع السودان الغربي، ص 243.

2 . سحر عنتر مُحَمَّد أحمد مرجان، فقا المالكية واثاره في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وسنغاي، مكتبة الثقثافة الدينية القاهرة، ط2011.1، ص 244.

3 . سحر عنتر مُحَمَّد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص 259.

4 . مُحَمَّد بلول بن عثمان فودي، انفاق الميسور في تاريخ بلد التكرور، تح: بهيجة الشاذلي، الرباط، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، ط1، 1996م، ص 52.

المخالفة للمذهب السني، كانوا من ذوي القدرة على المناظرة، ومن بين المؤلفات التي ذكرت في هذا المحال تلك المناظرة التي حدثت بين الإمام المغيلي والقاضي محمود بن عمر أقيت، والتي سميت بـ "الجواب المحمود عن أسئلة القاضي محمود وأجوبة الفقير عن أسئلة الأمير"، حيث أجاب فيها المغيلي عن أسئلة السلطان الأسكيا مُحَمَّد الكبير[1].

الرحلة العلمية: ظهرت الرحلة في طلب العلم في شتى أنحاء العالم الإسلامي بما في ذلك السودان الغربي، نتيجة عوامل عدة، ولعل من أبرزها وحدة العالم الإسلامي، مما أتاح لطلبة العلم فرصة الانتقال بحرية وبدون عوائق أو حواجز بين مختلف أنحاءه، بهدف تلقي الطالب العلم عن الشيخ مباشرة حتى يتم الوثوق بقوله وتصح روايته، وقد كان الحج من أهم الروابط التي كان لها عميق الأثر في نشر المذهب المالكي، فاعتبرت الرحلة قيمة جدا لأنها جاءت بحصيلة علمية مكنت علماء السودان من التأليف والنشر، فأسهموا في الحركة الفكرية في بلاد السودان الغربي، كالفقيه محمود كعت صاحب تاريخ الفناش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس[2] ، لذا يمكن القول أن رحلات فقهاء المالكية شكلت رافدا هاما لتطور مدرستهم بشكل خاص، وازدهار الحياة العلمية بالسودان العربي عموما.

فرض الرقابة على حركة التعليم: لقد حرص فقهاء المالكية بالسودان العربي على أن يكون المعلمون القائمون على تدريس الأطفال سواء في المراحل الأولى من التعليم أو بعده على المذهب السني، لذا منعوا أصحاب الفرق الأخرى من مزاولة التعليم والتدريس حفاظا منهم على المذهب المالكي[3]، ولعل هذا ما مكنهم من غرس مبادئ مذهبهم في قلوب النشء ومكنهم بشكل تدريجي من تكوين قاعدة اجتماعية صلبة المذهبهم، نظرا لكون مبادئ العلوم الأولية التي يتلقاها الصبي وطريقة فهمه للدين التي ينشأ عليها من الصعوبة بمكان أن يتخلص منها في الكبر، بل وتظل مصاحبة له وتوجهه وهو يخوض معترك الحياة، لذا قيل: بأن التعلم في الصغر كالنقش على الحجر"، هذا علاوة على أن ذلك يسهم في تمتين الوحدة الفكرية للمجتمع[4].

1 . السعيدي، المصدر السابق، ص41، 44.

2 . مسعود عمر مُحَمَّد تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان العربي بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين د.م الله جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 2003، ص: 158

3 . المادي الدالي مبروك وعمار هلال، الإسلام في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب إفريقيا (1850-1914م) بووت دار حين للطباعة والنشرة 1990، ص 71.

4 . الشنقيطي أحمد الأمين، آداب البحث والمناظرة تج سعود بن عبد العزيز بن مُحَمَّد العريفي، السعودية، دار عالم المواد النشر والتوزيع، السعودية د.ط، 2018 م، ص 159.

أدوارهم السياسية:

كان الفقهاء المالكية في السودان الغربي تأثير كبير في الحياة السياسية، وذلك عن طريق إدخال نظم جديدة عليها وفق التعاليم الإسلامية، إضافة إلى تقلدهم مناصب الحكم والتي استطاعوا من خلالها القيام بالإصلاحات وتغيير موقف الحكام، والدليل على ذلك نظام الحكم الذي كان استبدادي لكن مع الإصلاحات التي قام بها الفقهاء تغير موقف الحكام[1].

وبرزت عائلا علمية كان لها اهتمام بالحياة السياسية تذكر منها عائلة أقيت في مملكة سنغاي، التي أصبح لها نفوذ كبير، فكانت لها مواقف تبرهن على تأثيرها في السلطة، ونجد أن الحكام خضعوا العلمائها واستحابوا من أجل دعم مشروعهم السياسي والديني، وقلدوهم مناصب رفيعة، وخاصة في عهد أسكيا الحاج مُحَمَّد الذي كان يقدر العلماء ويحسن إليهم، ويأخذ برأيهم، ومن أمثلة ذلك عندما طلب الإمام المعيلي من الأسكيا مُحَمَّد القبض على أفراد الجالية اليهودية في دولة سنغاي، لتورط اليهود في مقتل ابنه في توات أثناء غيابه في رحلته إلى السودان الغربي، وكاد الأسكيا أن يلبي طلبه لولا استشارته. للقاضي محمود بن عمر أقيت، الذي تدخل واحتج على ذلك، وأمر الأسكيا مُحَمَّد بإطلاق سراح الجالية اليهودية، مما كان سببا غضب المعيلي ومغادرته عاو إلى توات.

وكان الأسكيا يستشيرهم في مسائل السلم والحرب، كما كانوا رسله في معظم الأحوال، وبخاصة العلماء وصارت هذه السياسة قاعدة لمن أتى بعده من الأساكي في تقدير العلماء واحترامهم والنزول عند آراءهم، كما كان لعلماء أقيت دور في الحفاظ على الدولة من الاضطرابات والفتن الداخلية، خاصة في الفترة التي أعقبت عزل أسكيا مُحَمَّد واستيلاء ابنه موسى على الحكم في عام 935هـ / 1528م)[2]، فقد منعوا الأسكيا الجديد من التنكيل بإخوانه ومعارضيه درء للمشاكل، وسعى الفقيه محمود بن عمر أقيت للصلح بينه وبين إخوته، فطلب منه القاضي محمود العفو عن إخوته، وأن يتجنب الفتنة بينه وبينهم لما فيه من قطع الرحم والفساد في الأرض[3].

وإضافة لاهتمام العلماء وعنايتهم بالنظام الإداري والقضائي، فقد كانت الإدارة مع مجيء الإسلام والمذهب المالكي لبلاد السودان منظمة تنظيما محكما، وكانت تسير شؤونها على أحسن الأحوال، وهذا دليل على الأثر الواضح للمذهب المالكي في الإدارة، أما بالنسبة للقضاء فقد كان

1 . إبراهيم على طرحان، إمبراطورية غالة الإسلامية القاهرة، الهيئة المصرية العامة النشر والتأليف، و من 1970، من 57

2 . سحر عنبر مُحَمَّد مرجان، المرجع السابق، من 151.

3 . السعدي، المصدر السابق، ص 82.

دقيقا، لذلك عمل الحكام على توليه القضاء للفقهاء المشهود لهم بالقدم الراسخ في العلم والتمرس في الأحكام مع التقوى والتزكية، وذلك لإصلاح حال الرعية[1]، وقد كان يتم تعيين القضاة وفق مراسيم خاصة في المسجد بعد صلاة من صلوات الخمس، وذلك بحضور السلطان في يوم مشهود حيث يأتي الفقيه الذي يريد أن ينصب قاضي فيخلف إمام الحاكم بالله أو باسم من أسمائه الحسنى أنه سيلزم في أحكامه بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ[2]، ومن أشهر الفقهاء الذين عينوا في محال القضاء تذكر القاضي مُحَمَّد الكابري كان عالما فقيها ووليا صالحا[3].

وجدت عائلات توارثت منصب القضاء نظرا لعلو كعب أبناءها في العلم والفتوى، ومن بين هذه البيوت العلمية عائلة أقيت التنبكنية التي توارث علماءها هذا منصب القضاء مدة طويلة ولم يتحول عنهم لغاية سنة 1002هـ / 1593م وهو عام نكبتهم على يد القائد محمود بن زرقون إثر الغزو السعدي لتنبكت. ولقد اهتم الأساكي بهذا المنصب لذا نجد الأسكيا مُحَمَّد هو أول من قام بذلك فقد قام بإصلاحات فيه بعد عودته من الحج سنة 902هـ / 1496م، إذ نصب في كل من مدينتي جني وتنبكت وفي كل مدينة تستحق القضاء قاضيا، ويتمتع قاضي قضاة تنبكت بمكانة عالية نظرا لمكانة المدينة الثقافية والتجارية فكانت له مهمة تولية القضاة في بقية أقاليم المملكة، وكان للقضاة في السودان الغربي صلاحيات واسعة، استمدوها من مكانتهم الدينية، ومن المكانة التي حظوا بها عند الحكام، خاصة في عهد الأساكي في دولة سنغاي، والتي عرف عنها احترام شخصية القاضي واعتبار أحكامه نافذة على الجميع الحاكم قبل المحكوم، وهو ما دفع بعض المؤرخين إلى عقد مقارنة بين مركز الحاكم والقاضي الديني والدنيوي، بل قرروا أن سلطة القاضي تفوق في بعض الأحيان سلطة الحاكم نفسه، فكان الحكام لا يبرمون أمرا إلا بمشورة القاضي والأخذ برأيه، مما انعكس ايجابا على الوضع الأمني فقد استتب الأمن والاستقرار في البلاد طيلة حكم الأساكي، بسبب اختيارهم قضاة من العلماء وخاصة من أسرة أقيت العلمية[4]، لهذا كان للفقهاء دور سياسي بارا في ظهور نظم جديدة

1 . مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص: 190، 213

2 . ميقا أبو بكر إسماعيل الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في بلاد السودان الغربي مجلة الإمام مُحَمَّد ابن مسعود السعودية، دار المنظومة الإسلامية ع 11، درت له ص 278 .

3 . إيهاب شعبان عبد الشافي القضاء في دولتي مملكة مالي وصنعاي وأثره الحضاري في المجتمع (636-1000هـ/ 1238-1591، القاهرة الأفريقية الدولية للنشر والطبع والتوزيع، ط1، 2014، ص: 47.

4 .، المرجع السابق، ص13.

في الحكم في الحكم، إضافة إلى النظام الإداري إذ تقلد العلماء مختلف المناصب الإدارية كما تلقوا احترام وتقدير الحكام.

دورهم في الحياة الاجتماعية:

إن المكانة التي حظي بها فقهاء المالكية في المجتمع السوداني، وما تبؤه من خطط ومناصب، والوضع المادي الذي كانوا عليه، واضطلاعهم بالعديد من الوظائف والمهن، مكنتهم من القيام بأدوار اجتماعية هامة ومتميزة في مجالات عدة، ومن أبر الميادين التي كان الفقهاء المالكية دور بارز فيها ما يأتي:

مساعدة الفقراء والمحتاجين والإسهام في تحرير في تحرير الأرقاء حيث عمل الفقهاء على مساعدة المعوزين من خلال التصدق ومنح القروض إذا عرف الفقهاء بالجود والكرم والتصدق بالأموال الوفيرة على الفقراء، كما أسهموا في تحرير العبيد تماشيا مع تعاليم الدين الداعية إلى تحرير الأرقاء[1]، فنجد مثلا علماء أسرة أقيت كانوا ملجأ العامة من بطش الحكام، فكانوا يفرون إلى دار القاضي أو الإمام إذا تعرضوا الخطر، وكانوا يحثون الحكام على الاهتمام بالفقراء والمساكين وتقديم المساعدات لهم. وخير دليل على ذلك أن القاضي العاقب بن محمود كان يأخذ من أسكيا داود كل عام أربعة الاف صينية ليقسمها على فقراء المدينة والمساكين

الحفاظ على الأسرة وتنظيمها: يعد الزواج أساس الحياة الأسرية والعائلية، لذلك كان فقهاء المالكية يشجعون عليه، علاوة على أنهم عظموا المرأة وجعلوا لها مكانة خاصة لأنها أساس تكوين وبناء الأسرة، فحرصوا على أن يتم الزواج وفق الشروط الشرعية دون الإخلال بأي ركن من أركانه الأساسية[2].

محاربة الآفات الاجتماعية ورد المظالم من طبيعة المجتمع الإنساني ديمومة التغيير، فهو لا يثبت على حال وأهم ما يتغير فيه أحوال الناس الذين يتأثرون مما يطرأ عليهم من ظروف سواء كانت مادية أو معنوية، لذا فإن التشريع الإسلامي وضع جملة من القواعد التي تضمن التقدم المستمر للمجتمع الإنساني في مختلف البيئات والظروف ومن هذه القواعد قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3]، وقد ورد أصل هذه القاعدة بكل وضوح في القرآن الكريم والسنة النبوية، لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ

1 . زمان هيدو نفس، تمبكتو وآثارها في العصور الإسلامية المتاجرة، عمان، دار الأيام، د.ط، 2016، ص 163.

2 إبراهيم علي فرحان المرجع السابق، ص 59.

3 . الأحمر أسماء أحمد، الدين والدولة في مملكة سنغاي الإسلامية (869-1000هـ 1464-1591م) بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط1، 2008، ص112.

وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾[1] ولهذا أخذ فقهاء المالكية بهذه القاعدة وانطلقوا في محاربة مختلف مظاهر الفساد، وشتى أشكال الانحلال الأحلافي سواء أكانت مبادرة عن الحكام أو المحكومين، ويبدو أن ذلك يعود الأهمية دور الأمراء والحكام في الحد من الفساد أو نشره وعظم مسؤوليتهم في ذلك[2]، فقد بدل علماء أسرة أقيت جهودا كبيرة من أجل الإصلاح الاجتماعي، والمحافظة على قيم المجتمع المسلم ومبادئه ومحاربة الفساد والمفسدين، كما ساهموا في المحافظة على الآداب العامة في الطرقات والمناسبات، وهكذا كان لهم دور كبير في الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية في السودان الغربي.

مما تقدم ذكره يمكن القول أن الفقهاء المالكية اجتمعت لديهم مؤهلات وعوامل موضوعية، وفي مقدمتها تلك المناصب التي تولوها وما جازوه من أموال مكنتهم من تبوأ مكانة متميزة في المجتمع السوداني، الأمر الذي ألقى بظلاله بشكل مباشر على قوة تأثيرهم الاجتماعي، حيث تمكنوا بفضل ذلك من القيام بأدوار هامة تركت أثارا إيجابية في المجتمع السوداني، فقد أسهموا في تمتين العلاقات الأسرية والعائلية وضبطها وأيضا تقنين الحياة العامة بما يتماشى مع تعاليم الإسلام، وجعلها أكثر استقرارا وذلك من خلال محاربة شتى الآفات الاجتماعية، والإسهام في انتعاش الحياة الاقتصادية بمعالجة الأحكام المتعلقة بها ومحاربة كل ما يؤثر عنها سلبا كالعاملات التجارية التي تضر بمصالح الناس كالربا والغش، وهذا مما يعود بالرخاء على أفراد المجتمع، ويسهم في تحقيق الاستقرار[3].

ويبدو بأنهم حققوا نتائج هامة بمراعاتهم لأعراف وعادات أهل المنطقة خلال استصدارهم للأحكام الفقهية حيث وقفوا في كثير من المسائل والقضايا بين الأعراف السائدة بالسودان والأحكام النظرية الفقهية، إلا أنه يبدو أن تأثيرهم على الحياة الاجتماعية تركزت بشكل كبير بالمدن، وذلك يعود لكثافة وجودهم بها، ولعل من العوامل الأساسية أيضا التي مكنتهم من التأثير بقوة في كل هذه المجالات. هو تبولهم لبعض المناصب ولاسيما القضاء، وكياستهم في طبيعة الشروط التي الزموا الحكام

1 . سورة التوبة، الآية 71 .

2 . الأروابي مولى أحمد بابير، السعادة الأبدية بالتعريف بعلماء تنبكت البهية، تج: الهادي مبروك الدالي، بنغازي دار الكتب الوضية، د.ط، 2001، ص64.

3 . أحمد جعفري، "المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي وتأثره بفقهاء بلاد المغرب: قراءة في المصادر العربية والإفريقية ما بين القرنيين 14 و 17 الميلاديين". مجلة آفاق علمية مج: 12، ع 1، 30 أفريل 2020، ص: 222

بقبولها مقابل توليهم لها، والتي مكنتهم من مزاولة مهماتهم بحرية، ولا ريب أن الجهود التي قاموا بها سوف تسهم في ارتقاء المجتمع السوداني ونهوضه في مختلف نواحي الحياة[1].

نستنتج من خلال دراستنا لهذا الجانب أن علماء المغرب الأوسط ساهموا في نشر الدين الاسلامي وايصال كلمة الحق ومحاربة البدع والجهل الذي كان يعاني منه سكان الصحراء والسودان الغربي.

1 . احمد جعفري، المرجع السابق، ص: 224.

الخاتمة

الخاتمة:

في ختام بحثنا الذي تمحور حول الفقه والسلطة في السودان الغربي، يتضح لنا أن العلاقة بين السياسة كانت متشابكة ومعقدة، الفقيه لم يكن مجرد شخصية دينية، بل كان يلعب دورا حيويا في توجيه وادارة الشؤون السياسية والاجتماعية من خلال تحليلاتنا تبين أن الفقهاء كانوا قادرين على التأثير على القرارات السياسية وتشكيل السياسة العامة، مما يعكس دورهم المحوري في الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي والديني إذ تفاعل الفقهاء مع السلطة كان يتميز بالتعاون والتماثل أحيانا وبالصراع والنقد أحيانا أخرى، وذلك بحسب الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة، فقد يساعدنا هذا الفهم العميق لدور الفقيه وفي السودان الغربي في تقديم رؤى جديدة حول كيفية التعامل مع التحديات الحالية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، حيث مازالت العلاقة بين الدين والسياسة محط نقاش وجدل.

كذلك من خلال دراستنا لهذا الموضوع استنتجنا أن العلماء كان لهم الدور الكبير في نشر الاسلام وايصال كلمة الحق محاربة البدع والجهل الذي كان يعاني منه سكان الصحراء والسودان الغربي.

حتما يمكن القول أن دور الفقيه في السلطة في السودان الغربي فتحت آفاقا جديدة لفهم تطور الفكر السياسي الاسلامي وتطبيقاته وتعزز من أهمية البحث المستمر في هذه المجالات لفهم الماضي بشكل أفضل والاستفادة منه في بناء مستقبل أكثر استقرار وعدلا.

وفي الختام نسأل الله تعالى ان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وﷺ واله اجمعين

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

❖ **القرآن الكريم.**

❖ **الأحادي النبوية: صحيح البخاري**

أولا– المصادر

1. ابن الصلاح الشهزوري، ادب المفتي والمستفتي، تح:موفق عبدالله عبدالقادر، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ج1.

2. ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأنصار، تح :عبد الهاي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، دط، الرباط، ج4، 1997.

3. ابن حوقل، أبي القاسم، النصبي صورة الأرض، دار مكتبة الحياة بيروت البنان 1992.

4. ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر 1979م، ج5.

5. ابن خلدون، مقدمة، تح، كاترمير، ط1، مج1، مكتبة لبنان، 1858.

6. ابي حامد الغزالي المنخول تعليقات الأصول، تح:مُحَّد حسن هيتو، دار الفكر المعاصر، ط3، بيروت1998

7. أبي ربيع سليمان الباروني مختصر تاريخ الإباضية د د ن د بن، د س ن ط.

8. ابي زكريا النووي، المجموع شرح المهذب للشرازي، تح: مُحَّد نجيب المطيعى، مكتبة الارشاد، جدة، ط1، ج1

9. ابي عبدالله البرتلي الولاتي :الفتح الشكور معرفة اعيان علماء التكرور، تح :مُحَّد إبراهيم الكتاني ومُحَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ط1

10. الأدريسي أبو عبد الله الشريف: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في إفتراق الآفاق، تح: اسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م.

11. الأروابي مولى أحمد بابير، السعادة الأبدية بالتعريف بعلماء تنبكت البهية، تج: الهادي مبروك الدالي، بنغازي دار الكتب الوضية، د.ط، 2001.

12. البكري أبو عبد الله: كتاب المسالك والممالك، تونس، الدار العربية للكتاب، 1992، ج2.

13. التنبكي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطوير الديباج، م ج ك2، تح: علي عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004.

14. ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله، باب تفضيل العلم على العبادة، ج1.

15. الدرجيني بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب العربي، ج1، تح: ابراهيم طلابي، دن، دط، م ن.

16. السعدي، تاريخ السودا، باريس، مكتبة ادريان موزونوف.

17. عمر جيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، 1993.

18. قاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب المالك، ط2، 1983، ج1.

19. القزويني زكريا بن مُحَّد بن محمود آثار البلاد وأخبار العباد بيروت، دار صادر دت.

20. القلقشندي أبو العباس: الصبح الأعشى، صناعة الأنشاء، ج5، تح: نبيل خالد الخطيب، لبنان، دار الكتاب للكتب العلمية، ط1، 1987م.

21. اليعقوبي أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، دط، دت، ج1، بيروت،

22. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسن مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، ط1، ج 1، مصر، 1303هـ.

ثانيا– المراجع

23. إبراهيم على طرحان، إمبراطورية غالة الإسلامية القاهرة، الهيئة المصرية العامة النشر والتأليف، و من 1970.

24. ابن حوقل أبو القاسم مُحَّد الناصيبي: صورة الأرض، لبنان، مشورات دار مكتبة الحياة، 1992.

25. أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب حققه و قام بطبعه إبراهيم طلاي مطبعة البعث الجزائر دت، ج 2.

26. أبي الحسن علي ابن موسى ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، للطباعة والنشر بيروت 1980م.

27. ابي عبيد البكري، المسالك والممالك، ج1، تح: د.جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

28. احسان العقلة، المذهب المالكي، ساعة: 18:39 31، ماي 2022.

29. أحمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني، امبراطورية مالي، المجمع الثقافي، الامارات العربية المتحدة، 1230_1430م، ط1، أبو ضبي.

30. أحمد بن مُحَمَّد بونوة، الامام شيخ الإسلام مالك بن أنس، مقال منشور في شبكة الألوكة 1438هـ/ 2017م.

31. أحمد جعفري، "المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي وتأثره بفقهاء بلاد المغرب: قراءة في المصادر العربية والإفريقية ما بين القرنيين 14 و 17 الميلاديين". مجلة آفاق علمية مج: 12، ع 1، 30 أفريل 2020

32. أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 6، ط2، 1959، مكتبة النهظة المصرية، القاهرة.

33. أحمد نجم الدين فليجة، إفريقية دراسة عامة وإقليمية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعية، 1978م.

34. الأحمر أسماء أحمد، الدين والدولة في مملكة سنغاي الإسلامية (869-1000هـ 1464-1591م) بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط1، 2008.

35. الاسلام والمجتمع السوداني، امبراطورية مالي 1230/1430، ت أحمد الشكري، ط1، أبو ضبي المجمع الثقافي، 1999.

36. أمير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الاسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، بنغازي، دار الكتب الوطنية، دط، دت ن.

37. إيهاب شعبان عبد الشافي القضاء في دولتي مملكة مالي وصنعاي وأثره الحضاري في المجتمع (636-1000هـ/ 1238-1591، القاهرة الأفريقية الدولية للنشر والطبع والتوزيع، ط1، 2014.

38. باري مُحَمَّد علي وسعيد ابراهيم كربدية: المسلمون في غرب ؟أفريقيا (تاريخ وحضارة)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2007م.

39. برايماباري، جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي، القاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع، ط1، 2000.

40. بشار اكرام الفلاح: التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي من القرن 5 – 9هـ/11م – 15م دار غيداء لنشر والتوزيع، 2013.

41. تاديوش ليفشكي، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، تر، ما هر جزار ريما جزار منشورات الثقافية سلسلة أبحاث تاريخية، 2007.

42. حسن الوازن: وصف افريقيا، تر: عمار ومُحَمَّد الأخضر، لبنان، ج2، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1983.

43. الحسن بن مُحَمَّد الوازن الفاسي، وصف افريقيا، ج:2، ير: حجي عمار ومُحَمَّد، لبنان، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1983.

44. حسين سيد عبد الله مراد، الصلاة بين بلاد المغرب والسودان الغربي(2_6هـ/8_12م)، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، مصر، 19 افريل 2015.

45. الخطابة: أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب: أبو زهرة، ص:19، طبعة دار الفكر العربي. ولسان العرب حرف الباء فصل الخاء. ج1،

46. دحمان مسعود، فرحات هجيرة، التجارة المغاربية ودورها في نشر الإسلام في منطقة السودان الغربي، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تخصص أفريقيا جنوب الصحراء، جامعة أدرار، أدرار، 2021/2020.

47. رزوق أسماء وعصيد لطيفة، المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي، (ق5-11هـ/17-11م)، مذكرة لنيل شهادة ماستر في تخصص تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي، كلية العلوم الانسانية والإجتماعية، قسم العلوم الانسانية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2020/2019م، 1441-1442هـ.

48. زبادية عبد القادر، مملكة صنغي في عهد الأسكيين -1493 - 1592، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دت، ص 37.

49. الزرويل صالح، الشيخ علي بن يخلف الدرجيني ودوره في نشر الاسلام بمملكة مالي، مجلة هيرودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية 2023/12/31، رقم 04.

50. زمان هيدو نفس، تمبكتو وآثارها في العصور الإسلامية المتاجرة، عمان، دار الأيام، د.ط، 2016.

51. زيبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين(1591/1493م) الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د، ط.

52. سحر عنتر مُحَّد أحمد مرجان، فقا المالكية واثاره في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وسنغاي، مكتبة الثقثافة الدينية القاهرة، ط1.2011.

53. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامي، دار القومية للطباعة والنشر مدب، 1966م.

54. الشنقيطي أحمد الأمين، آداب البحث والمناظرة تج سعود بن عبد العزيز بن مُحَّد العريفي، السعودية، دار عالم المواد النشر والتوزيع، السعودية د.ط، 2018 م.

55. شيخ الأمين عوض الله، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وصنغي، جدة، دار المجمع العلمي، 1979م.

56. صلاح الدين منجد مملكة مالي عند الجغرافين المسلمين دار الكتاب الجديد، بيروت، 1963.

57. عبد الرحمان عثمان حجازي، الذهب التربوي عند ابن سحنون رائد التأليف التربوي، بيروت، المكتبة العصرية، ط2، 1995.

58. ماما هاسي تنابو، العلاقة بين دولة مالي وبين المغرب الأقصى من خلال المذهب المالكي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية.

59. عبد الغني الدقر، مالك ابن أنس، دمشق، دار العلم، د ط، 1998م.

60. عبد القادر زبادية، مملكة صنغي في عهد الأسكيين 1493 - 1592، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ت.

61. عبد الكريم يوسف جودت العلاقات الخارجية لدولة الرستمية المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر مدت خط.

62. عبد الله الفكي البشير: قراءة منصورة شعوب القرن الإفريقي في كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين وتأثيراتها الممتدة، صحيفة التغيير الالكترونية.

63. عبد الله عبد الرزاق: موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية التاريخ الحديث والمعاصر، إنتشار الإسلام في غرب الإفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة 2008، ج 2.

64. عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب إفريقيا، تح: أبي بكر بن العربي، دار الغرب الاسلامي، 1121/1038، الرباط، ط1.

65. العلاقة بين دولة مالي وبين المغرب الأقصى من خلال المذهب المالكي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية، أعدها الطالب ماما هاسي تنابو، وأشرف عليها الدكتور عمر الجيدي.

66. علي يحي معمر، الاباضية بين الفرق الإسلامية، مكتبة الغامري للنشر، ط3، عمان، 2014.

67. فرح سعيد، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السودان الغربي من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر، جامعة أحمد بن بله، وهران.

68. الفلاتي عبد الرحمان: الفلاتة في إفريقيا، ومساهمتهم الاسلامية في السودان، الكويت، دار الكتاب الحديث، 1994م.

69. الفيتوري عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الاسلام)، بنغازي، 1997، جامعة فان يونس، ط1.

70. كولين ماكيفيدي، أطلس التاريخ الإفريقي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987.

71. المادي الدالي مبروك وعمار هلال، الإسلام في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب إفريقيا (1850-1914م) بووت دار حين للطباعة والنشرة 1990.

72. مُحَمَّد أبو مُحَمَّد إمام، سيادة المذهب المالكي في إفريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الاسلامية، وزارة الارشاد والأوقاف، جامعة إفريقيا العالمية، 1427هـ/2006.

73. مُحَمَّد بلول بن عثمان فودي، انفاق الميسور في تاريخ بلد التكرور، تح: بهيجة الشاذلي، الرباط، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، ط1، 1996م، ص 52.

74. مُحَمَّد رياض، أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي، ط1، 1996دار الكلمة للنشر وتوزيع.

75. مُحَمَّد عوض مُحَمَّد الشعوب والسلالات الإفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966.

76. مُحَمَّد عيسى الحريري، البناء السياسي للمغرب الإسلامي للدولة الرسمية، دار العلم، ط2، الكويت.

77. مُحَمَّد فتح الله الزيادي، ظاهرة إنتشار الاسلام وموقف بعض المتشرقين طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، ط3، 1983.

78. مسعود عمر مُحَمَّد تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان العربي بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين د.م الله جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 2003.

79. مطر سعيد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية واثرها في مجتع السودان الغربي.

80. مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والاسلام والتعليم في غرب إفريقيا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ط1، 1998.

81. ميقا أبو بكر إسماعيل الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في بلاد السودان الغربي مجلة الإمام مُحَّد ابن مسعود السعودية، دار المنظومة الإسلامية ع 11، درت له..

82. نور الدين شعباني، التواجد المذهبي في السودان الغربي مابين القرنين 5 و 10 للهجرة، مجلة كان التاريخية، ع 12 ديسمبر 2012.

83. الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي الإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1999م.

84. وهبة الزحلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، ط2، ج8.

ثالثا– المواقع الاكترونية:

85. https//.www.qur.aata.f.ri.can.com/home/1ew/ شوهدة يوم 1 جوان على ساعة العاشرة صباحا.

الملاحق

الملحق رقم 01

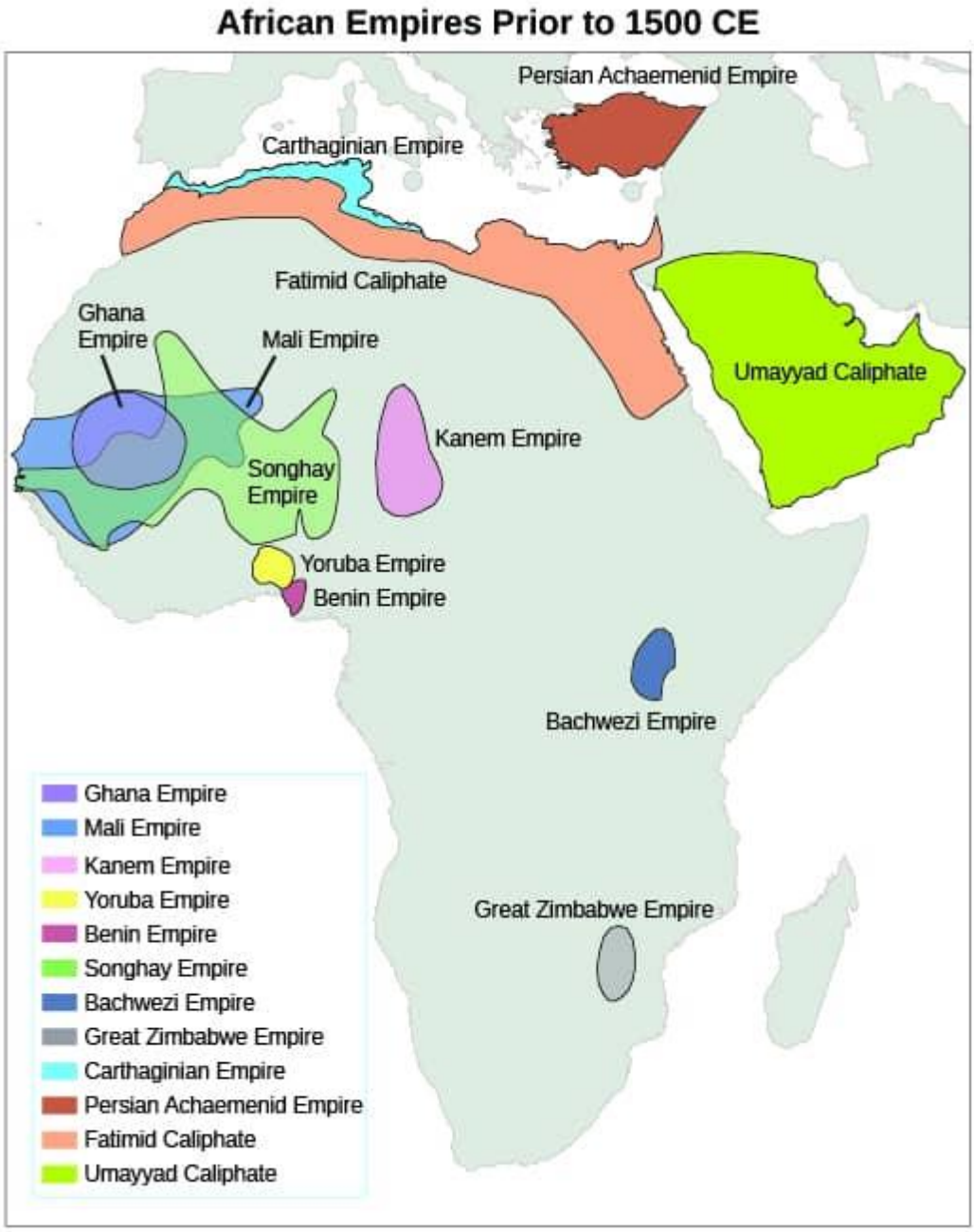

الملحق رقم 02

الملحق رقم 03

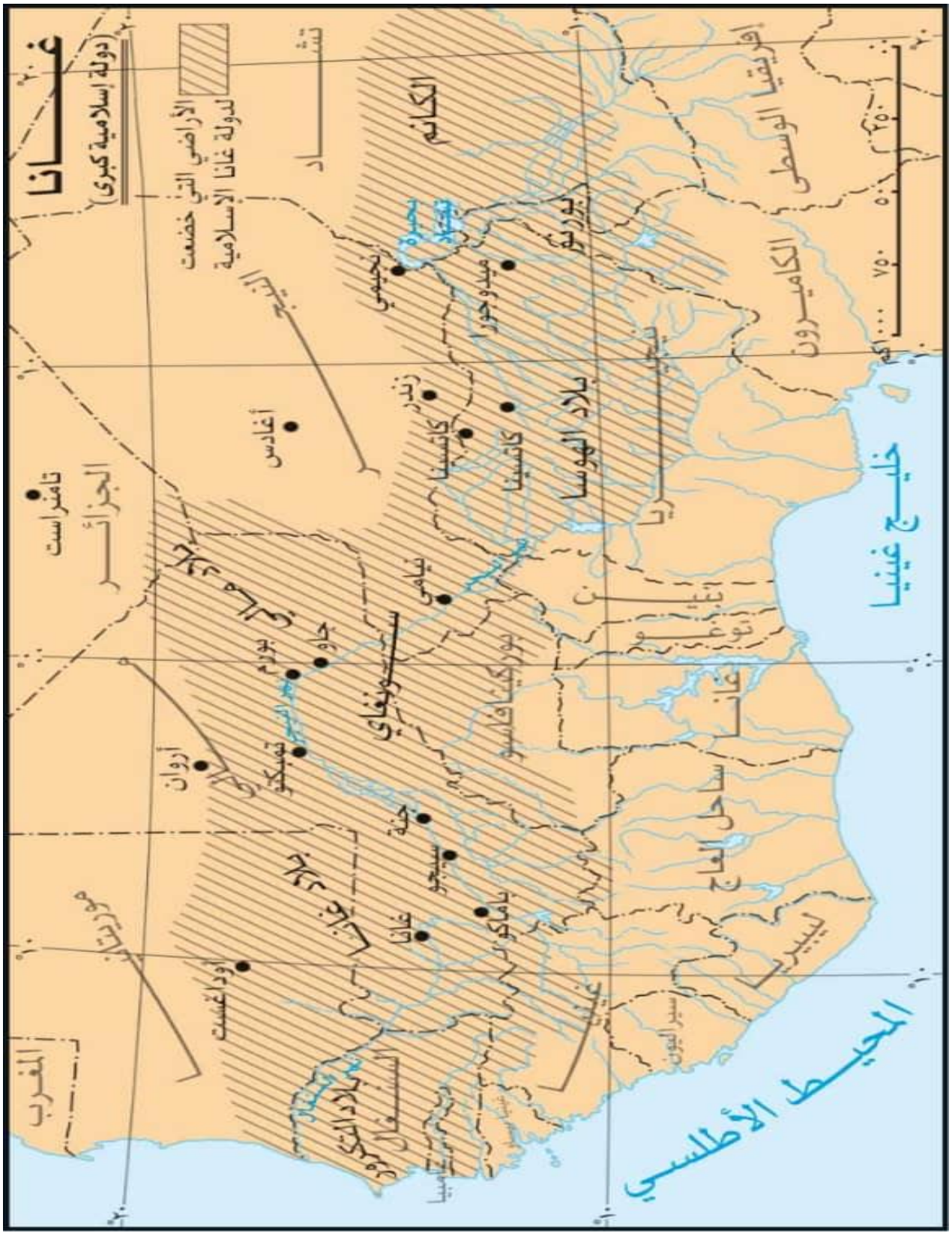

الملحق رقم 04

الملحق رقم 05

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
شكر وعرفان	
اهداء	
فهرس الرموز	
مقـدمة	أ
الفصل التمهيدي: لمحة تاريخية عن السودان الغربي	
المبحث الأول: تعريف السودان الغربي	5
المطلب الأول: التسمية والنشأة	5
المطلب الثاني: الموقع الجغرافي للسودان الغربي:	6
المبحث الثاني: الممالك التي قامت في السودان الغربي	10
المطلب الأول: مملكة غانا	10
المطلب الثاني: مملكة مالي:	10
المطلب الثالث: مملكة سانغاي	11
الفصل الأول: الاسلام في السودان الغربي من القرن (2هـ إلى 7هـ)	
المبحث الأول: من الوسائل التي ساعدت على انتشار الإسلام في السودان الغربي	14
المطلب الأول: التجارة	14
المطلب الثاني: قوافل الحجاج	14
المطلب الثالث: الدعاة وجهودهم في أسلمة السودان الغربي	15
المبحث الثاني: العوامل المرتبطة بالعقيدة الاسلامية ومظاهر تأقلم السودان الغربي بها	18
المطلب الأول: العامل الاقتصادي	18
المطلب الثاني: العوامل الاجتماعية والثقافية	18
الفصل الثاني: دخول المذاهب الفقهية لبلاد السودان الغربي	
المبحث الأول: المذهب الإباضي ودور الفقهاء في ترسيخ الإسلام في السودان الغربي	23
المطلب الأول: تعريف المذهب الإباضي وانتشاره في السودان الغربي وممالكها	3

المطلب الثاني: جهود الدعاة الإباضية في ترسيخ الإسلام	23
المبحث الثاني: المذهب المالكي ودور فقهائه في ترسيخ الإسلام	28
المطلب الأول: تعريف المذهب المالكي وانتشاره في ممالك السودان	28
المطلب الثاني: الدعاة المالكية ودورهم في أسلمة الحكام	41
الخاتمة	51
قائمة المصادر والمراجع	53
الملاحق	
فهرس المحتـويات	